جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

بلاغة ترتيب جملة النداء فى شعر ابن سناء الملك بين السياق والدلالة " المراثى نموذجاً "

الدكتورة

سامية عبد الحميد عبد المجيد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد فى كلية البنات الإسلامية
بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة ترتيب جملة النداء فى شعر ابن سناء الملك بين السياق والدلالة المراثى نموذجاً

سامية عبد الحميد عبد المجيد

قسم البلاغة والنقد ـ كلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : samiaabdelhamed1999@yahoo.com

الملخص

الهدف من الدراسة الوقوف على أساليب التقديم والتأخير فى جمل النداء فى شعر الرثاء وبيان أهمية الترتيب، وإبراز بلاغته فى التعبير عن انفعالات الشاعر وحالته النفسية.

وجاءت خطة الموضوع فى تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، تناولت فى التمهيد نبذة عن تعريف الترتيب وأهميته، والنداء ضابطه وتركيبه، ونبذة عن الشاعر والديوان، والمراد بالسياق والدلالة ، وقسمت البحث إلى سياقات:

جاء المبحث الأول: فى سياق الحزن على المرثى ، وبيَّنت فيه كيف رتب الشاعر جمل ندائه مما جعلها مرتبطة بالسياق.

أما المبحث الثانى: تحدثت فيه عن بلاغة ترتيب جمل النداء فى سياق تعداد صفات المرثى، وكيف أدى هذا الترتيب دوره فى التعبير عن المقصود.

واشتمل المبحث الثالث على جملة النداء فى سياق أثر الفقد، وإبراز دور التقديم والتأخير فى تصوير أثر الفقد.

وجعلت المبحث الرابع فى سياق التسلِّى والصبر ثم جاءت الخاتمة وفيها ذكرت بعض النتائج التى توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية : ترتيب ، النداء ، المراثى .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

In the name of God the most Merciful, the most Compassionate

Samia Abdel Hamid Abdel Majid
Department of Rhetoric and Criticism - Islamic Girls College in Assiut - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt .
Email: samiaabdelhamed1999@yahoo.com

Abstract

The eloquence of arranging the sentence of appeal in the poetry of the son of Sina the king's inheritance model

The aim of the study is to identify the methods of presentation and delay in the sentences of the appeal in the poetry of lamentation and to show the importance of the arrangement, and to highlight his eloquence in expressing the poet's emotions and psychological state.

The plan of the topic came in a preface and four investigations and a conclusion, which dealt in the preface about the definition of the arrangement and its importance and a profile of the diwan, divided the research into contexts:

The first topic came in the context of grief over the legacy and showed how the poet arranged the sentences of his call, which made it linked to the context.

The second topic was about the eloquence of arranging the sentences of the appeal in the context of enumerating the characteristics of the inheritance, and how this arrangement played its role in expressing the meaning.

The third research included the appeal in the context of the impact of the loss, highlighting the role of submission and delay in portraying the impact of loss.

I made the fourth research in the context of fun and patience and then came to the conclusion and mentioned some of its findings.

Keywords: arrangement ،Appeal ،Inheritance.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الديان ، خلق الإنسان علمه البيان ، وميزه عن سائر مخلوقاته بالعقل والبيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد

يعد الشعر أوثق الفنون اتصالًا بالوجدان ، وألصق بملامح شخصية الإنسان ، ولما كان التقديم والتأخير من أجَلِّ أبواب علوم البلاغة ، فهو "باب كثير الفوائد ، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف ، بعيد الغاية"[١] أردت دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية ، وجعلتها قاصرة على أسلوب النداء، وتطبيق ذلك على الرثاء فى شعر ابن سناء الملك ، لكثرة ورود أساليب النداء فى الرثاء فإنه يستوجب نداء المرثى باسمه أحيانًا، وبتعداد صفاته أحيانًا أخرى ، و كثيرًا ماكان ينادى القبر والتربة التى دفن فيها، والأماكن التى جمعته معه لشدة ارتباطه بالمرثى ، لإبراز مكانته الرفيعة عنده مما يستوجب الحزن لفراقه، فأردت إبراز أهمية الارتباط بين حالة الشاعر النفسية والبلاغة فهى تصور ما يجول بخاطره من انفعالات ومشاعر خاصة لو كانت هذه الانفعالات نتيجة فَقْد أوحِرْمان ؛ لذا جاء موضوع بحثى " بلاغة ترتيب جملة النداء فى شعر ابن سناء الملك بين السياق والدلالة " المراثى نموذجًا"، وبعد تتبعى للشواهد ــ محل الدراسة ــ بلغ عددها ما يقرب من ثلاثة وأربعين شاهدًا جاءت موزعة

١- **دلائل الإعجاز** للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود محمد شاكر ص ١٠٦ مطبعة المدني القاهرة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حسب سياقها، ولم اقتصر على البيت الذى يوجد به أسلوب النداء فقط بل أتطرق للسياق القبلى أو البعدى أو هما معًا إذا استدعى السياق ذلك.

واقتضت طبيعة الموضوع أن يجئ بحثى فى تمهيد و أربعة مباحث بين مقدمة وخاتمة .

تناول التمهيد تحرير المفاهيم الإجرائية للبحث من الحديث عن بلاغة الترتيب ، وأهميته عند القدماء والمحدثين ، و النداء من حيث الضابط والتركيب ، كما تناول التعريف بالشاعر والديوان ، والسياق والدلالة ، أما المبحث الأول تناولت فيه الحديث عن بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق الحزن والتحسر، وبلغ عدد شواهده سبعة

واشتمل المبحث الثانى على الحديث عن بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق تعداد صفات المرثى. واحتوى على ثلاثة عشر شاهدًا

أما المبحث الثالث جعلته فى بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق أثر الفقد، وبلغ عدد شواهده ثمانية عشر شاهدًا.

المبحث الرابع وتناولت فيه الحديث عن بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق التسلى والصبر، وكان عدد شواهده خمسة

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث ، وفهارس المصادر والمراجع .

وأخيرًا

الله أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولًا ، وأن ينفع به من قرأه ، ويجعله فى ميزان حسنات صاحبه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

تحرير المفاهيم الإجرائية للبحث

ويشتمل على أربعة محاور:

المحور الأول : بلاغة الترتيب وأهميته عند القدماء والمحدثين.

المحور الثانى : النداء بين الضابط والتركيب.

المحور الثالث :التعريف بالشاعر والديوان.

المحور الرابع: السياق والدلالة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور الأول

بلاغة الترتيب وأهميته لدى القدماء والمحدثين

قبل الحديث عن بلاغة الترتيب ينبغى الإشارة إلى تعريفه فى اللغة والاصطلاح، وحصر معانيه.

-**التعريف اللغوى:** يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوى (رتب)، و"الرَّتَبَةُ واحدةٌ من رَتَبات الدَّرَج، ورَتبْتُه ورَتَّبْتُه سواء"(١)، و"المَراتِبُ فى الجِبالِ وَالصَّحارى من الأَعلامِ التى يُرَتَّب فيها العيون والرقباء"(٢)، و"التَّرَتُّبُ كله: الشَّىءُ المُقيمُ الثَّابِت"(٣).

-**التعريف الاصطلاحى:** هو "جعل الأشياء الكثيرة بحيث يُطلَق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى بعضها بالتقدم والتأخر"(٤).

وبناء على التعريفين اللغوى والاصطلاحى يمكن القول: إن الترتيب هو رصف الجملة على النحو الذى يقتضيه التعالق المتمِّم للمعنى بين مكوناتها.

---

(١) كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدى المخزومى – إبراهيم السامرائى، دار ومكتبة الهلال ١١٥/٨.

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى بيروت ط١ ٢٠٠١م (١٩٨/١٤).

(٣) لسان العرب لابن منظور الأنصارى الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر– بيروت ط٣، ١٤١٤هـ ٤١٠/١.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى (ت ١٠٣١هـ) عالم الكتب– القاهرة ط١– ١٤١٠هـ –١٩٩٠م –ص٩٥.

وقد اهتم البلاغيون القدماء بمراعاة الترتيب فى الكلام، وأوصوا الكتَّاب والشعراء بمراعاته، وعدم الاكتفاء بالألفاظ والمحسنات، ومن ذلك ما أورده القاضى الجرجانى: "وأقل الناس حظًّا فى هذه الصناعة مَن اقتصَر فى اختِياره ونفيهِ، وفى استِجادته واستسقاطه، على سلامة الوزن، وإقامة الإعراب، وأداء اللغة، ثم كان همُّه وبُغيته أن يجد لفظًا مروَّقًا، وكلامًا مزوَّقًا؛ قد حُشِى تجْنيسًا وترصيعًا، وشُحن مطابقةً وبديعًا، أو معنى غامضًا قد تعمَّق فيه مستخرِجُه، وتغلغل إليه مستَنبطه، ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب، واضطراب النَّظم، وسوء التأليف، وهلهلة النّسْج"(١).

فجعل القاضى الجرجانى فيما ورد أعلاه مراعاة الترتيب، وحسن التأليف، ومتانة النسيج اللفظى لا تقل أهمية عن مراعاة سلامة الوزن، والعناية بجمال التصوير والمحسنات فى القصيدة.

وتتجلى أهمية الترتيب فيما أورده ابن الأثير الكاتب فى معرض تناوله الدقة في ترتيب البيت بما يبرز مناسبة لفظ (أخدع) مُفرَدًا فى سياقه ، وعدم مناسبته للسياق فى حالة التثنية فى موازنته بين قول الصمة بن عبد الله:

تَلَفّتُّ للإصغَاءِ حتّى وَجَدْتُنى وَجِعتُ مِنَ الإصغَاءِ لِيتًا وَأخدَعَا (٢).

وقول أبى تمام:

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فقدْ أَضْجَجْتَ هذا الأَنامَ مِن خُرْقِكْ (٣).

---

(١) **الوساطة بين المتنبى وخصومه** للجرجانى (ت ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم – على محمد البجاوى، مطبعة عيسى البابى الحلبى (ص٤١٣).

(٢) **شرح ديوان الحماسة للتبريزى دار القلم ــ بيروت ٦١/٢ ــ شرح حماسة أبى تمام للفارسى تحقيق محمد عثمان عبد البارى ــ دار الأوزاعى ــ بيروت الطبعة الأولى ٦١/١ .**

(٣) **ديوان أبى تمام الطائى فسَّر ألفاظه اللغوية ووقف على طبعه محيى الدين الخياط ، وطبع بمناظرة والتزام محمد جمال مرخصًا من نظارة المعارف العمومية ص ٣١٠**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إذ يقول: "ألا ترى أن لفظة (الأخداع) قد جاءت هاهنا مُوَحَّدة ومُثَنَّـــاة، وهى حسنة فى حالة الانفراد، مُستَكرَهة فى حالة التثنية.

–وقد يكون ذلك لأمر يرجع إلى التركيب و الألفاظ؛ وذلـــك أن يكـــون التركيب مختل النظام، مضطرب الترتيب، فتجىء ألفاظه عند ذلك مُستَكرَهة، مُستَثقَلة؛ لكونها واردة فى غير أماكنها، وإن كانت من حيث انفرادها حســـنة لائقة"(١).

فدلَّ قول ابن الأثير على أهمية الترتيب؛ إذ يسهم فى إبراز جمال اللفظ فى الجملة، أما الإخلال بترتيبها فيحيل اللفظ الجيد قبيحًا فى موضـــعه لـــذلك الإخلال.

–واهتم البلاغيون برصد بلاغة الترتيب ف النص القرآنى؛ فهو المعين الذى لا ينضب، ومن ذلك قوله تعالى: (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيـــهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) (٢) فيلاحظ الدقة فى الترتيب مما أورده ابن الأثير: "فلما قدَّم الليل فى الذكر على النهار، قدَّم سبب الليل وهو السكون على ســـبب النهـــار وهو التعيش"(٣).

فراعى السياق القرآنى الدقة فى الترتيب؛ بتقديم الليل مقترنًـــا بمتعلقـــه الحياتى، وهو السكون والراحة، وتأخير النهار مقترنًا بمتعلقه الحياتى، وهـــو السعى فى مختلف مناحى الحياة.

---

(١) **الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور** لضياء الدين ابن الأثير الكاتـــب (ت ٦٣٧هـــ) تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمى ط ١٣٧٥هـــ ص٢٧٢.

(٢) سورة يونس: ٦٧.

(٣) **المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر** لضياء الدين بن الأثير تحقيق: أحمد الحوفى ـــــ بدوى طبانة دار نهضة مصر ، القاهرة ١٧٤/٣.

وتجلت دقة الترتيب القرآنى في قوله تعالى: (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أوقائمًا) [١]، مما تناوله بن أبى الإصبع العدوانى، إذ ذكر أن السياق ابتدأ بالشخص الذى يصرعه الضُّر؛ لأن "ضره أشد، فهو أكثر تضرعًا، فوجب تقديم ذكره؛ لأن تقديمه الأهم، وإذا تقدم ذكر المُضَّطجِع، أوجب حسن الترتيب أن يليه ذكر القاعد، وأن يلى ذكر القاعد ذكر القائم، فحصل حسن الترتيب، وائتلاف الألفاظ بمعانيها"[٢].

فلوحظ فى الفقرة الدقة فى مراعاة الترتيب بدءًا من وضع الاضطجاع، ثم القعود، ثم القيام؛ كون الآية تتعلق بوقوع مس الضر فى حق الإنسان؛ ومن ثم يكون الابتداء بالاضطجاع مناسبًا للتعافى من القعود ثم القيام.

ويؤدى غياب الدقة فى الترتيب إلى التعقيد اللفظى ، و"يكون بجعل الكلمات فى جملة الكلام مرتَّبةً على غير الترتيب الذى يقتضيه نظام الكلام ، وتأليفُه فى اللِّسان العربى، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، وكالتشتيت فى الروابط بين عناصر الجملة الواحدة، أو بين عناصر الْجُمَل فى الكلام الواحد"[٣].

---

(١) سورة يونس بعض الآية١٢

(٢) **تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** لابن أبى الإصبع العدوانى (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق حفنى محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى ص١٧٦.

(٣) **البلاغة العربية** تأيف عبد الرحمن الميدانى الدمشقى (ت ١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت ط١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ١/١٢٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن هنا لم يجز البلاغيون القدماء تقديم ما حقه التأخير؛ منعًا للإلباس كتقديم المحصور بـ (إنما) عليها، كما "إذا قلنا فى: إنما ضربَ زيدٌ عَمْرًا : إنما ضربَ عمرًا زيدٌ"(١)، وغيره كثير مما أوردته المصادر البلاغية التراثية.

من وجه آخر، تبرز أهمية الترتيب فى اعتماده على ترتيب المعنى فى ذهن السامع، فهو عملية ذهنية فى المقام الأول، ففى حالة الإخلال بالترتيب فى غير مناسبة بلاغية يصعب على الذهن تصور المعنى على الوجه الأمثل؛ إذ "دلالة اللفظ على لازمه أظهر من دلالته على لازم لازمه؛ لأن الذهن ينتقل من اللفظ إلى ملاحظة الملزوم أولًا ، وإلى ملاحظة اللازم ثانيًا، وإلى ملاحظة لازم اللازم ثالثًا، فبسبب ترتيب هذه الملاحظات ولو بالذات تتفاوت الدلالات"(٢).

وإجمالًا، يعتمد الترتيب على ذهن السامع وتصوره للمعنى على النحو الذى أورده ابن عاشور بقوله: "لا سبيلَ إلى الاستنتاج إلا الترتيبُ، ولا يحصُل ترتيبُ المعانى إلا بتقريرها فى الذِّهْن ابتداءً، ثم رَعْيُ التَّناسبِ بينها بتفكيكِها وتقسيمِها والموازنةِ بينها"(٣).

---

(١) **حاشية الدسوقى على مختصر المعانى** لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، (ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزوينى)، محمد بن عرفة الدسوقى تحقيق: عبد الحميد هنداوى، المكتبة العصرية بيروت ـ ٣٠٢/٢.

(٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لعصام الدين الحنفى (ت ٩٤٣هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: عبدالحميد هنداوى ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١١٥/٢.

(٣) أصول الإنشاء والخطابة، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) تحقيق ياسر بن حامد المطيرى، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٣٣هـ ص٧٣.

المحور الثانى

النداء بين الضابط والتركيب

النداء لغة : الصوت فهو مشتق من الندى بمعنى بُعْد الصوت ، جاء فى لسان العرب" النِّداء والنُّداء: الصوت مثل الدعاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء: أى صاح به ، وتنادوا : اجتمعوا١"، وقال ابن فارس : " النون والدال والحرف المعتل تدل على التجمع "٢.

أما فى اصطلاح البلاغيين : طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظًا أو تقديرًا٣.

يتكون أسلوب النداء من أداة النداء والمنادى ، ثم جملة جواب النداء .

أدوات النداء هى الحروف التى ينبه بها المنادى ، وهى ركن مذكور أو ملحوظ وعددها ثمانية : الهمزة بنوعيها المقصورة والممدودة، وأى ، آى، ويا، وأيا، هيا ، و واء ٤ ، وتنقسم هذه الأدوات من حيث الاستعمال إلى ما ينادى بها القريب وهى الهمزة ، و أى ، أما باقى الأدوات ينادى بها البعيد هذا هو الأصل إلا أنه أحيانًا ينزل القريب منزلة البعيد ، والعكس لدواعى بلاغية.

الركن الثانى المنادى، ولما كان الهدف من النداء جذب انتباه المنادى أو طلب جوابه من خلال مناداته تضمَّن أسلوب النداء أساس وهو المنادى ،

١- لسان العرب لابن منظور- مادة ن د ى ٣١٣/١٥ -٣١٦ - **دار صادر بيروت ١٩٥٦**

٢- مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون ـــــ دار الفكر العربى ، مادة ندى ٥ / ٤١١

٣ - مختصر العلامة سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى – دار الإرشاد الإسلامى – بيروت ٣٣٤/٢

٤ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – تأليف يحيى بن على بن حمزة العلوى – ت ٧٤٥ه – طبعة المقتطف ١٩١٤ م- ٢٩٣/٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويأتى على صور عدة ١ــ مفرد علم وهو ما ليس مضافًا ولا شبيهًا بالمضاف ولا يختص باللفظ المفرد بل يشمل المثنى والجمع أيضًا مثل قولك : يا خالد ٢ ــ منادى مضاف وهو ما يتبعه مضاف إليه سواء أضيف إلى معرفة أو نكرة مثال ما أضيف إلى معرفة قولك : يا عبد الله أقبل ، وما أضيف إلى نكرة كقولك : يارجل سوء تب ،٣ ــ منادى الشبيه بالمضاف وهو الذى يتصل به شيء يتمم معناه مثال: يا خيرًا من زيد. ٤ــ منادى نكرة مقصودة كقولك: يا رجل إذا أردت واحدًا بعينه ،٥ ــ منادى نكرة غير مقصودة[١] وهو الذى لا يحدد المنادى عند ذكره كقولك : يا رجلًا، وإعرابها جميعًا النصب عدا المفرد العلم ، والنكرة المقصودة فمبنيان على الضم فى محل نصب .

الركن الثالث من أركان النداء جملة جواب النداء ، وهى إما أمر أو نهى ــ وهو الغالب ــ أو خبر قال صاحب المُفَصَّل: " اعلم أن كل منادى مختص تختصه فتناديه من بين مَنْ يَحْضُرُك لأَمْرِك و نَهْيك ، أو خَبَرِك ، ومعنى اختصاصك إياه أن تقصده ، وتخصه بذلك دون غيره[٢].

١- ينظر: شرح المفصل للشيخ العالم جامع الفوائد يعيش بن على بن يعيش النحوى – ت٦٤٣ه – ج ١ – ص ١٢٧ وما بعدها – بتصرف مكتبة المتنبى

٢- نفسه ج ٢/ ١٧

المحور الثالث

التعريف بالشاعر والديوان

التعريف بالشاعر

هو "هبة الله القاضى السعيد بن القاضى الرشيد جعفر بن سناء الملك محمد بن هبة الله بن محمد السعدى المصرى المعروف بابن سناء الملك"(١) وُلِد فى مصر سنة خمس وأربعين وخمسمائة (٥٤٥ه)(٢) وقيل سنة خمسين وخمسمائة(٥٥٠ه)(٣) وقيل سنة ثمان وأربعين وخمسمائة(٥٤٨ه)(٤)

و"كان جدُّه يلقَّب: سناء الملك، وكان فيما ذُكِر عنه رجلاً من أهل ديار مصر، وكان له ثروة ومال واسع، ومن وجوه أهلها وكبرائهم، وأرباب النعمة. ومات وخلَّف ولده جعفرًا، وكان له مضاربات وقروض وتجارات اكتسب بها أموالًا جمَّة. ولم يكن له شيء من العلم ما يشتهر به"(٥).

-**مؤلفاته** : لابن سناء الملك مؤلفات عديدة فقد "اختصر كتاب (الحيوان) للجاحظ وسمى المختصر "روح الحيوان"، وله كتاب" مصايد الشوارد"، وله

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ٢٧٦٥/٦.

(٢) ينظر: الوافى بالوفيات لابن أيبك الصفدى تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت ط ٣ ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥م ٤٨٠/٢١

٣- ينظر: معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة مكتبة المثنى بيروت ١٣٥/١٣

٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس بن خلكان البرمكى الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ٦٦/٦

(٥) قلائد الجمان فى فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ «عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان» لكمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلى (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبورى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ٢٠٠٥ م ٧ /١٢٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ديوان جميعه موشحات سمَّاه" دار الطراز"، وجمع شيئًا من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضى الفاضل"[١] أسماه "(فصوص الفصول) جمع فيه طائفة من إنشاء كتَّاب عصره... وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق الجزء الثانى من منظومة فى (غزوات الرسول) صلّى الله عليه وسلم يُظَنُّ أنها له"[٢].

-**مكانته العلمية:** أما مكانته العلمية فقد "قرأ القرآن على الشريف أبى الفتوح الخطيب. وقرأ النحو على العلامة ابن برَّى ، وسمع بالإسكندرية من أبى طاهر بن سلفة"[٣].

-**ثناء العلماء عليه:** أشاد كثيرون بمكانة ابن سناء الملك الشعرية والأدبية كالصفدى الذى مدحه بقوله: "وهو –عندى– من الأدباء الكَمَلة؛ لأنه جيد الترسُّل وموشحاته البديعة، وأما شعره فإنه فى الذروة العليا، كثير الغوص على المعانى، كثير الصناعة، وارى زناد التورية"[٤].

وأثنى عليه عبد السلام هارون فى معرض حديثه عن تهذيبه لكتاب (الحيوان) للجاحظ، بقوله: "وقد ظن بعض الأخوة من الأدباء أنى قد انفردت بهذا العمل فى كتاب الحيوان، وراقه صنيعى، وكتب إليَّ مُثنِيًا ، والحق أنه قد سبقنى إلى تهذيب الحيوان عالمان جليلان من علماء القرن السابع، أما أحدهما فهو شاعرنا المصرى هبة الله بن جعفر بن محمد سناء الملك المعروف بـ (ابن سناء الملك)..." [٥].

---

(١) وفيات الأعيان **وأنباء** أبناء الزمان ٦/ ٦٢ .

(٢) الأعلام للزركلى الدمشقى (ت ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين ط١٥ ٢٠٠٢م ـ ٧١/٨.

(٣) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام للذهبى (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامى ط١، ٢٠٠٣م، ٢٠٣/١٣.

(٤) الوافى بالوفيات للصفدى (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط – تركى مصطفى، دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م ١٣٥/٢٧.

(٥) كناشة النوادر لعبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨هـ) مكتبة الخانجى ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ص٩١.

ولابن سناء الملك جهود بارزة فى نظم الموشحات امتدحها المحبى الحموى بقوله: "وأول من نظم الموشح المغاربة، وهذبه القاضى الأجلُّ هبة الله ابن سناء الملك، وتداوله الناس إلى الآن"(١)، وألَّف فيها (دار الطراز) وأشرتُ إليه آنفًا، سعى فيه " إلى مساماة كبار شعراء المغرب فى الموشحات خاصَّة"(٢).

وقد أثنى شوقى ضيف على جهوده فى صناعة الموشحات بقوله: "وكأنما اختارت المقادير ابن سناء الملك لا ليكون وشاحًا مصريًّا ممتازًا، بل لما هو أبعد من ذلك؛ ليضع عروض الموشحات ونظامها كما وضع الخليل بن أحمد عروض الشعر العربى ونظامه، على نحو ما يوضح ذلك كتابه النفيس "دار الطراز"(٣).

كما ألَّف عبد العزيز الأهواني كتابه (ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر) (٤).

وأثنى عليه القنوجي بقوله: "وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سناء الملك المصرى اشتهرت شرقًا وغربًا"(٥).

---

(١) خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموى الأصل الدمشقى (ت ١١١١هـ)، دار صادر بيروت١/١٠٨.

(٢) المقتطف من أزاهر الطرف لأبى الحسن المغربى الأندلسى (ت ٦٨٥هـ)، شركة أمل، القاهرة ط ١٤٢٥هـ المقدمة ص٦.

(٣) تاريخ الأدب العربى تأليف شوقى ضيف، دار المعارف مصر، ط١، ١٩٦٠م ١٧٧/٧.

(٤) تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م) تأليف محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ص٣٠٢.

(٥) أبجد العلوم تأليف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله الحسينى البخارى القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، دار ابن حزم ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م ص١٧٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويؤكد ثناء العلماء القدماء والمحدثين على المكانة العلمية التى تمتع بها ابن سناء الملك مما تجلى فى أشعاره وأدبه، فامتلأت بها المصادر، وتعددت مواضعها فيها بما يصعب على الحصر.

– كان ابن سناء الملك "من كبار كتاب الإنشاء"(١)، فكتب "بديوان الإنشاء مدة، ورحل إلى دمشق ثم عاد إلى القاهرة"(٢).

– جمعت بين ابن سناء الملك والقاضى الفاضل علاقة التلميذ بأستاذه؛ إذ أثَّر فيه القاضى الفاضل أيما تأثير، مما أشار إليه إحسان عباس بقوله: "ولا نستطيع أن نتحدث عن ابن سناء الملك، بل عن أكثر نقاد مصر فى هذه الفترة دون أن نذكر القاضى الفاضل الذى كان يحتل دور المعلم والراعى للأدباء فى مصر حينئذ، وتعد صلته بابن سناء الملك صلة توجيه ونقد وتشجيع، وهذه حقيقة تتضح حين نعلم أنه كان فى رسائله يلح دائمًا على أن يكتب إليه ابن سناء الملك، حين كان القاضى الفاضل فى الشام بآخر ما نظمه، بل يطلب أن يرسل إليه مسودات شعره؛ ليرى ما يجرى فيها من تنقيح وتغيير"(٣).

وتؤكد الفقرة قوة العلاقة بين الطرفين، ونظرة ابن سناء الملك للقاضى الفاضل نظرة إجلال وتقدير مستفيدًا من توجيهاته ونصائحه، فنشطت بينهما المراسلات والمكاتبات على نحو ما ورد فى كتاب (الفصوص) الذى تم تخصيصه لجمع تلك المكاتبات.

---

(١) البرد الموشى فى صناعة الإنشا لموسى بن الحسن الموصلى أبو محمد تاج الدين (ت ٧٠٠هـ)، تحقيق عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٠هـ ص٢٣١.

(٢) معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت ـــ دار إحياء التراث العربى – بيروت ١٣٥/١٣.

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب تأليف إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ)، دار الثقافة ـ بيروت، لبنان ط٤ ـــ ١٩٨٣م ص٥٨١.

– **الثراء الشعرى فى عصره:** لم يكن ابن سناء الملك وحده من المتفردين فى الأدب، بل كان هناك كثيرون ممن عاصروه من الشعراء المجيدين، وقد تأثروا بثقافة العصر من انتشار العلوم وفنونها التى اضطلع الأزهر الشريف بنشرها، فنبغ منهم كثير من الشعراء مثل "البهاء زهير (٥٨١هـ-٦٥٦هـ)، ابن مطروح (٥٩٢هـ-٦٤٩هـ)، ابن النبيه (ت ٦١٩هـ)، وابن الساعاتى (ت ٦٠٤هـ)، وابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ) وابن التعاويذى (٥١٩هـ-٥٨٤هـ)، وسراج الدين الوراق (ت ٦٥٥هـ)، ولا شك أن نشأتهم الأدبية كانت أثرًا لثقافة الأزهر اللغوية والأدبية التى ظلت متوارثة فى عهد الأيوبيين"(١).

ولا شك أن الثراء الشعرى والأدبى للعصر الذى عاش فيه ابن سناء الملك قد انعكس عليه هو وغيره ممن نهلوا من العلوم الشرعية بالأزهر الشريف، ودرسوا اللغة العربية فيه، فجاءت أشعارهم قوية رصينة مثَّلتها أشعار ابن سناء الملك كأحد نماذجها القوية.

– لا شك أن معاصرة ابن سناء الملك لصلاح الدين الأيوبى قد أطلقت العنان لشاعريته؛ لأن "حبه لمؤسس الدولة الأيوبية كان كبيرًا، يظهر فى المدائح الرنَّانة التي وجَّهها إلى حامى الإسلام وقاهر الصليبين، فنرى خلال هذه المدائح نفسًا عربية مخلصة تجيش بالإبكار والإعظام والإجلال نحو الرجل الذى صان الديار الإسلامية، وفرض احترامها على من حاول العبث بها، وطهَّر بيت المقدس من المغيرين على أرضه، فهجر الشاعر الصنعة

(١) الأزهر فى ألف عام تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ــ عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ط٢، ١٤٠٨هـ ١/٨٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتكلُّف عفوًا؛ ليترك العاطفة تتحدث وترتفع نشوى فى أجواء النصر والمجد"(١).

-**وفاته:** "توفى فى رمضان سنة ثمان وست مائة عن بضع وستين سنة"(٢).

أما عن الديوان فهو ديوان ثريٌّ يشهد برسوخ قدم صاحبه فى الشعر، يجئ فى جزئين يختص الجزء الأول بالحديث عن حياة الشاعر، أما الجزء الثانى فقد اشتمل على العديد من الأغراض الشعرية التى تناولها ابن سناء الملك من مدح وهجاء، وغزل وزهد وخمريات ورثاء وغيرها، ويقع فى أربع وأربعين وستمائة صحيفة ، واعتمدت فى هذا البحث على طبعة دار الكاتب العربى عام ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م تحقيق محمد إبراهيم نصر ، وحسين محمد نصار .

---

(١) **دار الطراز فى عمل الموشحات لا بن سناء الملك الكاتب (ت ٦٠٨هـ) دار الفكر ط١ ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م مقدمة الكتاب ص١١.**

(٢) **سير أعلام النبلاء** للذهبى (ت ٧٤٨هـ)، دار الحديث القاهرة ط ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ٤١/١٦.

المحور الرابع

السياق والدلالة

السياق لغة من "سوق" وأصله سِوَاق ، فقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها١ ، وتدور مادته حول التتابع ، يُقال: انساقت وتساوقت الإبل تساوقًا: إذا تتابعت ، والمساوقة : المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا٢، وقال ابن فارس: {السين والواو والقاف أصل واحد وهو حَدْو الشئ يقال : ساقه يسوقه سوقًا٣

أما تعريفه عند البلاغيين : "هو ما يحيط بالأسلوب من الوحدات اللغوية ، والظروف الخارجية بتنوعاتها المختلفة ٤" ، وقد تحدث الإمام عبد القاهر عن أهمية السياق على أساس أن الكلمة لا قيمة لها فى حال انفرادها ، وإنما يكون حسنها ورداءنها فى نظمها فقال : " إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ، إن الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما شابه ذلك مما لا تَعَلُّق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى اللفظة تروقك فى موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر٥" . ومن هنا اهتم البلاغيون بالسياق لتطبيق قاعدة لكل مقام مقال. أما الدلالة لغة : تدور مادتها

١- لسان العرب لابن منظور مادة س و ق ـــ دار صادر بيروت ٣ /٣٦٩

٢- ينظر : نفسه ٦ /٤٣٥

٣- ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ١١٧ـ تحقيق عبد السلام ها رون ، دار الفكر العربى ١٣٩٩ ه ـ ١٩٧٩ م

٤- أثر السياق فى اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية د إبراهيم صلاح الهدهد ص ٦٢ الطبعة الأولى ـــ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥- ينظر دلائل الإعجاز ص ٤٤ وما بعدها ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٩٢ م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حول الظهور والبيان من " دله على الشئ يدله دلًا ودلالة فاندل : سدَّده إليه ، والدليل والدليلى : الذى يدُلُّك "١، وهى ما يتوصل به إلى معرفة الشئ كدلالة الألفاظ على المعانى ، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود فى الحساب٢.

الدلالة اصطلاحًا: " كون الشئ بحالة يلزم من العلم بها العلم بشئ آخر ، والشئ الأول الدال ، والثانى المدلول ٣" ،والدلالة إما أن تكون لفظًا فهى لفظية ، أو غير لفظ فهى غير لفظية كدلالة الخطوط والعقد و الإشارات ، ثم إن الدلالة اللفظية إن كان للوضع دخل فيها فهى الوضعية بمعنى أن يكون اللفظ يفهم منه المعنى عند الاطلاق بالنسبة إلى العالم بوضعه ، وقد اعتنى البلاغيون بالدلالة اللفظية الوضعية ، وقسموها ثلاثة أقسام: { المطابقية : وهى ما تدل على تمام ما وضعت له كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق ، والدلالة التضمنية : وهى التى تدل على جزء مما وضعت له كدلالة الإنسان على الحيوان فقط أو الناطق فقط ، والالتزامية وهى التى تدل على معنى خارج عما وضعت له كدلالة لفظ الإنسان على الضاحك٤. } .

١- لسان العرب مادة دلل ١ / ٣٩٩ وما بعدها ــ دار الحديث ــ ١٤٢٧ هـ ــ ٢٠٠٦م

٢ - ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص١٧١ مكتبة نزار مصطفى الباز ــ بدون تاريخ .

٣- ينظر: عروس الأفراح لبهاء الدين السبكى ضمن ضروح التلخيص ٣ /٢٦٣ــ دار الإرشاد الإسلامى ــ بيروت

٤ - ينظر: مختصر السعد على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ٣ /٢٦٣ ، مكتبة الإرشاد الإسلامى - بيروت

المبحث الأول

بلاغة ترتيب جملة النداء في سياق الحزن والتحسر

تسيطر مشاعر الأسى والحزن على المرء عند فقد من يحب سواء من أهله أو أصدقائه ، أو كان من أصحاب الفضل عليه، ويشتعل قلبه بنار اللوعة والجوى ، وتذُّكر ما كان بينهم، والاشتياق إلى رؤيتهم التى حرمهم الموت منها. فيلجأ للتعبير عما بداخله من عواطف وحنين فى قوالب شعرية؛ لتخفيف ما به من لوعة وشوق، وهذا ما جاء فى شعر الرثاء عند ابن سناء الملك، ومن شواهده فى جملة النداء فى سياق الحزن والأسى قوله فى رثاء صديقه العفيف التلمسانى[1]من بحر المتقارب :

فأُفٍّ لدُنْيا تُسَاوي الَّذيـــــــن بسَاحَتِها أَحْسَنوا أَمْ أَسَاءُوا
يَعُمُّ أذَاهَا فلَا الأَغْنِيـــــــاءُ نَجَوْا مِنْ أذَاها ولا الأَنْبِيَـاءُ
ونَالَتْ كمَا تشْتَهِى مَا تشَـاءُ وَمَا نَالَ خلْقٌ بها ما يَشَـــاءُ
يَشِيبُ بها المَرءُ قبلَ الشَّبابِ ويُهْدَمُ مِنْ قبلِ يُبنَى البِنَـــاءُ
خَلِيلِى وحَاشَاك أَلَّا تُجِيـــبَ نِدَائِى فَقَدْ طَالّ منِّى النِّـــدَاءُ
لَئِنْ كُنْتَ أُسْكِنْتَ دَارَ البِلَـى فقَدْ دَارَ بالقَلْبِ منِّى البَـــلَاءُ
وإِنْ جَفَّ فيكَ دمٌ وَاحِـــدٌ فقَد سَالَ منْ مُقْلَتَىَّ دِمَـــاءُ

١- ديوان ابن سناء الملك ٢ /٤٩٠ تحقيق :محمد إبراهيم نصر ــ حسين محمد نصار – دار الكاتب العربى ١٣٨٨ ه ـــــــــ ١٩٦٩م

ــ العفيف التلمساني (٦١٠ – ٦٩٠ هـ = ١٢١٣– ١٢٩١ م) سلمان بن على بن عبد الله بن على الكومى التلمسانى ، عفيف الدين : شاعر، كومى الأصل (من قبيلة كومة) تنقل فى بلاد الروم ، وسكن دمشق فباشر فيها بعض الأعمال ، واتهمه فريق برقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية مات فى دمشق – ينظر : الأعلام للزركلى ١٢٩,١٣٠/٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يُصَدِّر الشاعر أبياته بالتأفف والضجر من الحياة الدنيا، ويصفها بأنها تقضى على كل من المحسن والمسيء، لا تُبقى أحدًا ولم يفر من قبضتها حتى الأنبياء ، ووصفها بأنها متقلبة سريعة الزوال، وأن حوادثها تجعل الصبى شيبًا ، وتهدم البنيان قبل بنائه؛ لما لها من مؤثرات قوية ، وكان ممن أصابتهم الدنيا صديقه فيناديه ، ويخاطبه ب" خليلى " بهذه الصفة التى توحى بقربه من قلبه، وحذف أداة النداء لضيق المقام النفسى، كما أنه أرادأن ينبهه تنبيهًا هادئًا فيه تودد؛ ولذا جاء المنادى مضافًا إلى ضمير المتكلم " خليلى" ليعمد إلى قبول ندائه ، وإيناسه بمخاطبه وهو ما دعا إليه أبو حيان "بأن مطلق إقبالك على المخاطب بالنداء، وإضافته إلى نفسه كما يقول الرحل: ياأخى ، وياصديقى، يكون ذلك سببًا لقبول ما يلقى إليه، بخلاف مناداته باسمه، أو بالوصف القبيح الصادر منه "(١) وأتبع نداءه بأسلوب الاستثناء محذرًا إياه من عدم الإجابة فى قوله "حاشاك" بمعنى إياك واصلًا "لا" النافية ب"أن" المصدرية مع حذف النون فى "أن" إذ الأصل أن لا تجيب كل هذا الحذف له دلالة فى هذا السياق، ومع الحذف أيضًا نرى الإطناب فى صورة التكرار معنى ومبنى رغبة من الشاعر فى أن يجيب صديقه ندائه فى قوله "تجيب ندائى فقد طال منى النداء"فأتى جواب النداء مبنيًا على "قد" والفعل الماضى ليشير إلى تحقيق طلب مخاطبته، وهذا من باب التحسر على فراقه، والشوق إلى سماع صوته، ثم أراد إخباره بما حدث له بعد فقده بأنه يعانى من عظم المصيبة، وأن قلبه يحترق شوقًا إليه، صاغ ذلك فى صورة أسلوب الشرط فى قوله" لئن كنت أسكنت دار البلى" ليشوِّق مخاطبه إلى ما حلَّ به، فيتمكن الجواب من نفسه فيقول: فقد دار بالقلب منى البلاء "معبرًا عن معناه بالفعل الماضى المقرون "بقد" ليفيد تحقق سكون البلاء فى قلبه، والحزن عليه وجانس فى قوله " دار البلى" و " دار

(١) ينظر البحر المحيط للعلامة أبى حيان الأندلسى ١٧٣/١ دار الفكر.

بالقلب" بين دار الأولى والثانية جناسًا تامًا مستوفيًا، فالأولى اسم لدار الفنـــاء، والثانية فعل من الدوران أى الإقامة والثبات فأحدث جرسًا موسيقيًا و كـــذلك بين "البلى و البلاء"، ويلاحظ هنا دقة الشاعر فى ترتيب جملة النداء فى هـــذا السياق المفعم بالأسى والحزن لتدل دلالة واضحة على ما كان يعـــانى مـــن حسرة وحزن على فقد هذا الصديق، فجاء ترتيب كلمات جملة النداء معبـــرًا أشد التعبير عن حالته النفسية ، واختار من الألفاظ أدقها للتعبير عن حزنه لفقد صديقه .

ومن الشواهد التى وردت فى سياق الحزن والتحسر قوله فى رثاء امرأة كان يحبها(١)

بَكَيْتُكِ بالعَيْن التى أنْتِ أختُها *** وشَمْسُ الضُّحَى تُبْكِيكِ إذْ أَنتِ بِنتُها
وتَضْحَكُ غُزْلان الفَلاَة لأننَّى *** بعَيْنيْكِ لما أنْ نَظَـــرتُ فَضَحْتُها
ويَا مُنْيَةً لَيْتَنى لم أَفـــزْ بهَا *** وأُمْنِيـــــــةً يا لَيْتَنى ما بلَغْتُها
شَهِدْتُ بأَنَّى فيكِ ألأَمُ ثاكـــلٍ *** للَيْلةِ بين مِتٍّ فيهـــــــا وعِشْتُها

يصور الشاعر مشاعر الحزن والأسى التى انتباته بسبب فراق حبيبته، فبدأ قصيدته ببكائه الحبيبة الراحلة، وعبر بالفعل الماضى "بكيتك" لتحقيـــق(٢) حالة الحزن التى طغت على الشاعر. وقيد الفعل بآلته "بالعين" مستخدمًا بـــاء الاستعانة(٣) للدلالة على تقرير حالة الحزن، وتأكيدًا لها، ثم أتى بالتشبيه البليغ فى "أنت أختها" حيث جعل محبوبته أختًا لعينه ، و فى افتتاح قصيدته بالبكاء تشييع لمشاعر الألم والحسرة فى القصيدة كلها، فقد جعل البكاء تعبيرًا عما ألمَّ به من وحشة الفراق، ولم يكتف بذلك، بل انعكس الحزن على الكون كله حتى

(١) الديوان ٢/ ٥٠٢
(٢) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ١٤٧/٢
(٣) ينظر:الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى تحقيق فخر الدين قباوة ــ محمد نديم فاضل ــدار الكتب العلمية بيروت ــ ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م ص٣٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جعل الشمس تشارك فى رثاء محبوبته ، وبناه على اسمية الجملة فى" وشمس الضحى تبكيك" لدلالة ثبوت (١) البكاء وسيطرة الحزن عليها ، وضاعف من قيمة الإيحاء الاستعارة المكنية فى قوله " شمس الضحى تبكيك" حيث جعل الشمس إنساناً يرثى حبيبته، ثم ذكر علة ذلك بقوله " إذ أنت بنتها" مستعملًا " إذ" ظرفًا لبيان اتحاد زمن وفاة حبيبته مع زمن استجابة الشمس للرثاء بكونها بنتها وهو تشبيه بليغ أكد فيه الشاعر على بيان مكانة مرثيته، وذلك بتكرار ضمير المخاطب "أنت" للتأكيد على مكانتها لديه(٢) فضلًا عن امتداد الصورة فى البيت كله، حيث ورد لفظ "أنت" مشبهًا مرتين فى " أنت أختها – أنت بنتها" عائدًا على الحبيبة ، وورد كذلك فى الاستعارة المكنية ، فامتد الخيال حتى شمل البيت كله، وانتقل إلى ضحك غزلان الفلاة ، وعلل ذلك عندما نظر إليها بعينى محبوبته افتضح أمرها، لتفوق محبوبته على الغزلان جمالًا، كما أفاد التعبير بالمضارع " تضحك" تجدد الفعل وحدوثه ، ثم قيد الجار والمجرور "بعينيك" للتخصيص والتأكيد على جمال عينى مرثيته الذى استدعى ضحك الغزلان ، كل ذلك يستدعى من الشاعر مزيد الحسرة والحزن على فراق حبيبته التى فاقت الغزال ؛ ولذا ناداها بـ "يا" المناسبة لحالة الشاعر الممتلئة بالحرمان والأسى الذى ملأ قلبه لحرمانه ممن جمعت بين جمال الشكل والروح ، وجاء بالمنادى نكرة لتعظيم محبوبته، كما أنه يعد دافعًا لمشاركة السامعين ممن فقدوا أحبابهم، فيكون ذلك أبلغ فى حزنهم لحزنه ، وتوجعهم لوجعه.

---

(١) ينظر: المثل السائر ١٥١/٣

(٢) ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ــ عالم الكتب بيروت ٩١/٢

واقتضى المقام تكرار المنادى إلا أنه حذف الأداة من الثانى إشعارًا بقربها من قلبه، كما كرر أسلوب التمنى بليت فى قوله "ياليتني" لزيادة الحسرة على فَقْده لمن أحب، ثم لجأ إلى الاعتراف بالحقيقة الواقعة، وجاء جواب نداءه مبنيًا على الفعل الماضى "شهدت " الذى أفاد التقرير بكونه من أسوأ المحبين حظًا مع من أحب بدلالة اسم التفضيل "ألأم " لبيان زيادة المفضَّل (١) " الحزن ومرارة الثكل" على المفضَّل عليه المحذوف للدلالة على العموم ، وأن فجيعة الشاعر فيمن أحبها قد عزت على المثيل والنظير، وعلى هذا يمكن القول بأن ترتيب جملة النداء قد أدى وظيفته الدلالية وجاء مناسبًا لتصاعد الدفقة الشعورية الحزينة لدى الشاعر.

ومن الشواهد التى وردت فى سياق الحزن والتحسر قوله فى رثاء امرأة كان يحبها : (٢)

نعَمْ كَبِدِى لا وَجْنتيِ قد لَطَمْتُها *** عليكِ وعَيْشِي لا ثيابِي شَقَقْتُها
أَيَادَهْرُ قَدْ أوجَدَتْنِي مُذْ وُجَدْتُهَا *** فمَالكَ لا أعْدَ مْتَنى إذْ عَدِمتُها
تَطَلَّبتُهَا منْ نَاظِرِى بعْدَ فَقْدِهَا *** فضَاعَتْ ولكنْ فى فؤادِى وَجَدْتُها

يتحسر الشاعر على فقد محبوبته، ويخبر أنه حزنه شديد، وجرحه عميق، يظهر أثر هذا الحزن فى لطم كبده ، وهذا مخالف لما تعارف عليه الناس ويعتبر إعلام من الشاعر إلى المخاطب بأن الحزن استولى على جميع أعضاء جسده حتى صار كل عضو فيه يعانى مرارة الفقد، وفى التعبير كناية عن بلوغ حزنه غايته، وأن أثره مؤلم ، فبنى كلامه على أسلوب القصر للمبالغة فى وصف حزنه ، ثم خاطب الدهر وطالبه أن يناله كما نالها، لأنها

(١) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبى العرفان محمد بن على الصبان تحقيق : حسن محمد ٦٢/٣ الطبعة الأولى ــ دار الكتب العلمية بيروت ــ ١٩٩٧م ــ١٤١٧ه
(٢) الديوان ٥٠٢/٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كانت سببًا فى وجوده، فيطلب منه أن يناله مثلها. ففى ندائه الدهر فى قوله " أيادهر " حسرة ومرارة ، وآثر النداء بـــ " أيا" لتناسب خروج أنفاسه المكلومة المليئة بالآهات والآلام مع ما فيها من حروف المد. وخطاب الشاعر الـــدهر ومناداته تُنبئ عن حالته النفسية التى يشعر بها إثر فقد أحبابه، وجاء المنادى نكرة للتحقير والتقليل من شأنه؛ لأنه قضى على أحبته وحرمه من رؤيـــتهم ، وبنى جواب ندائه على الجملة الفعلية الماضية المقترنة بـــ " قد" فى قوله " قد أوجدتنى مذ وجدتها" إشارة إلى تحقيق أن وجوده منذ وُجِدَت، وهـــى جملـــة سببية تعليلية لما بعدها " فمالك لا تعدمنى" مقدمة عليهـــا والتقـــديم ملائـــم للسياق ودال عليه ، لمافيه من إظهار السبب الذى من أجله يتعجب من عـــدم فعل الدهر به ؛ ففيه تقديم العلة على المعلول ، فيكون الكلام أدعـــى لقبـــول طلبه، وهذا يدل على التفانى فى الحب، حيث يجعل عمره مساويًا لعمرها، فلا يرغب فى الحياة بعدها فاختيار "مذ" ظرف زمان للماضى للدلالةعلى بيـــان زمن وجوده وأنه موجود منذ عرفها ، ثم يتابع وصف حسرته عليهـــا بأنـــه كثيرًا ما طلب رؤيتها بعينه، إلا أنه لا يراها بهما، ويجدها فى قلبـــه ؛ لشـــدة تعلقه بها فهى إن غابت عن عينه لا تغيب عن قلبه، فقد رتب الشاعر جملـــة نداه ترتيبًا دقيقًا يعبر عن مدى ما يحس به من أسى وحزن ، فجاءت ألفاظـــه وأساليبه ملائمة لسياق الحزن والأسى.

ومن تعبيره عن التحسر والحزن على فقد أهله وأحبابه قوله فى رثـــاء جماعة من أهله: (١)

أيا دَمْعَ عَيْنى لا تَكُنْ بَعْدَ إِخْوَانِي *** وقَدْ نَزَحُوا لا بالضَّعيفِ ولا الوَانى
أَبِنْ حُسْنَ عَهْدِى إنَّ عَهْدِى تُبينُهُ *** جُفُونى بمَاءٍ لا فُؤادِى بنِيـــــرانِ

(١) الديوان ٢/ ٥٢٢

وَعُذرُ فُؤَادِى لا كعُذْرِكَ وَاضِـحٌ *** فَأَنْتَ طَلِيقٌ والفُؤادُ هـــو العَانِى
وَحَاشَاكِ مِنْ أنْ لاتَفِى يا مَدامَعِـى *** لوَافٍ وقِدْما كَمْ وَفَّيْـــتِ لخَـوَّانِ
وَيَا عَيْنُ إنْ أبْصَرتِ فى النَّاسِ غَيْرَهُم *** فَمَا أنْتَ يا إنْسَـــــانُها قَطُّ إنْسَـانِى

يتحسر الشاعر على فقد أهله ، ويعبر عن حزنه العميق فيـأتى بندائـه دموع عينيه بأن تستمر فى انصبابها وغزارتها ، وألا تضـعف ولا تتـأخر، ويعلل ذلك بأنه من حسن العهد بهم اعترافاً بفضلهم، فنداؤه لدمع عينـه فـى قوله " أيا دمع عينى" ليس لمجرد التنبيه، بل خطاب حرقة وألم مماحدث لـه من فقد أحبته ، وآثر " أيا" لمناسبتها حالته النفسية الحزينة حيث يُخرج معهـا ما فى صدره من أوجاع وآلام ، وأعقب بذكر المنادى المضاف فـى قولـه " دمع عينى" لرغبة الشاعر فى الإطالة ، وتعدد معانيه التـى يقصـدها مـن تعبيراته عن مشاعره تجاه من فقدهم، وكانت الإضافة إلـى يـاء المـتكلم للتخصيص، ثم جاءت جملة جواب النداء مبنية على النهى فى قوله " لا تكن"، وقيدها بجملة الحال فى " وقد نزحوا" لبيان حال هؤلاء الذين ينهى دموعه عن التوقف من أجلهم، وجاء بها مقدمة على متعلق النهى، لتوجيه الكلام من أول الأمر إلى بيان حالهم ، وأن رحيلهم هو سبب النهى فهـو الأليـق بالسـياق، والأدل عليه ، وجاءت جملة الحال مبنية على" قد" والفعل الماضى إشارة إلى تحقيق رحيلهم فلم يعد لهم وجود، ثم امتدت الجمل و تـابع قيـوده بأسـلوب العطف فى قوله " لا بالضعيف ولا الوانى" لمزيد من الحزن والحسـرة لأن العطف يقتضى المغايرة، فيأمر دموعه بألا تتصف بهذين الوصـفين اللـذين يدلان على عدم تعمق الحزن، فنفى هذين الوصفين عن دموعه يـدل علـى تعمق الحزن ، وتغلغله داخل نفسه، ودليل هذا الحزن أن دمعـه مسـتمر لا يتوقف، وفى الوقت نفسه غزيرًا قويًا . ثم يحذر الشاعر دموعه مـن عـدم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إيقافها لمن يفى بها، وفى قوله " يامدامعى" نداء يفيد الحسرة والحزن لفقد أهله، واستخدم " يا" من بين سائر أدوات النداء، وهى مختصة بالبعيد مع قرب المنادى لأنه أراد أن يخرج من نفسه آهاته وأحزانه مع المد بها، وجاء بالإضافة إلى ياء المتكلم فى "مدامعى" للتخصيص والملكية، وفى تقديم أسلوب الاستثناء "حاشاك أن لا تفى" على المنادى للمسارعة إلى المعنى المقصود وهو الوفاء بحقهم، وتحذير مدامعه من عدم وفائها بحق أحبته. ثم يخاطب عينه ويحذرها من عدم إبصارها لغير هؤلاء الأوفياء، وكرر أداة النداء "يا" لتصوير ما فى نفسه من مشاعر الأسى والحزن، ووليها المنادى نكرة لأنه معلوم بدلالة القرينة ، وبنى جواب ندائه على أسلوب الشرط ؛ لتضمنه معنى الإثارة والتشويق إلى ذكر الجواب فى قوله " إن أبصرت" فإذا ذكر الجواب تقرر المعنى فى النفس ، وصدَّر جوابه بالفاء التفصيلية التى تدل على التعقيب؛ لسرعة تفصيل الحكم فيما لو صدر ذلك من العين، وجاء مدخولها جملة اسمية فى قوله " فما أنت " تفيد نفى ثبوت أن تكون هذه عينه، لأنها ترى غير أحبته، وهذا يدل على رغبته فى عدم معرفة غيرهم، فبفقدهم فَقَدَ كل مشاعر الحب والانتماء، ولوحظ أن الشاعر من خلال ترتيبه لجملة النداء قد أخرج ما يكنه فى نفسه من حرقة البين ، صور ذلك من خلال ألفاظه تصويرًا دقيقًا يتناسب وحالته النفسية.

ومما ورد من جملة النداء فى سياق الحزن قوله فى رثاء صديق له:(١)

بئْسَ القَرينُ العيشُ لمَّا *** مِتَّ يا نِعْمَ القَرِينُ
يَا مَنْ تَحَكَّم فى المُنَى *** وتَحَكَّمتْ فيه المَنُونُ
يَا مَنْ تَقَاضَاه الرَدَى *** ولَهُ عَلَى الدُنْيا دُيُونُ

(١) الديوان٢/ ٥٢٧

يَا ساكنًا فى اللَّحد حرَّ *** كَنى وحقِّك ذَا السُّكُونُ
سَكَنَ الأنينُ وقد سَكَنْ *** تُ فلَيْتَ لا سَكَنَ الأَنينُ

يعبر الشاعر هنا عن مدى يأسه وحزنه لفقد صديقه، وأخذ يعدد ماله من صفات حسنة ومناقب طيبة ، وما فعلته فيه المنايا وهو فى مقتبل عمره، فأخذ يناديه وينبهه بأداة النداء "يا" حتى يشعر السامع أنه ليس بالشئ الهيِّن، كما تساعده فى خروج أنفاسه المليئة بالجوى واللوعة تجاه المرثى ، ووليها المنادى اسمًا موصولًا فى قوله " يامن تحكم فى المنى" رغبة من الشاعر أن يثير الشوق إلى الصلة حتى إذا ذكرت تمكن المعنى فى نفس السامع ، ولما أراد تقرير المعنى فى نفس المخاطب بنى صلته على الفعل الماضى "تحكم" وفى هذا دلالة على أن صديقه كانت له أمانى وطموحات يرغب فى تحقيقها، إلا أن الموت منعه منها ، ثم لجأ إلى تعدد أوجاعه و أسباب حزنه ، فجمع للمرثى عن طريق العطف بالواو من الصفات ما يستوجب شدة الحزن عليه فقال " وتحكمت فيه المنون" لكون الواو تفيد المغايرة وتمايز المعنيين(١) ، وتصاعد الجرس الموسيقى فى البيت بالمجانسة بين " المنى والمنون" جناسًا ناقصًا مما يجسد الحسرة المتصاعدة من داخله، ثم ترقَّى فى وصف الحزن فكرَّر نداءه ليظهر لوعته لفقد صديقه فقال :

يامنْ تقَاضَاه الردَى *** ولهُ على الدنْيا دُيُون

ولما كان فعل الموت بالمرثى كالمنتقِى لأجود منتقَى قيده بجملة الحال "وله على الدنيا ديون" مبالغة فى وصف كونه فى ريعان شبابه عندما تربصت به يد المنون ، وهذا يستلزم رفع نبرة الحزن، مع أخذ الموعظة والعبرة من

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية د/ محمد أبو موسى ، ص ٣٦٠ دار الفكر العربى القاهرة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ذلك ، وفى التعبير بقوله " تقاضاه" دلالة على أنه حق يجب قضاؤه ، وهـذا حقيقة فسهام الموت لا ينجو منها أحد . ثم ارتفعت نبرة حزنه فأتى بنداء آخر يحمل معنى التفجع والحسرة أيضًا بقوله "ياساكنًا فى اللحد" واقتضـى المقـام تكرار "يا" وجاء المنادى نكرة لتعظيم مرثيه، ولمَّا أراد الشاعر ثبوت سكونه فى قبره عبر بصيغة اسم الفاعل "ساكنًا" والملاحظ أنه خلال نداءاته لم يـأت لكل نداء بجواب، إنما أتى بأساليب النداء متوالية ، فذكر ما هو أهم، فقدم ما هو أليق بالمعنى الرئيس وهوتعبيره عن حزنه، ويأسه لفراق صديقه، كما أنه لم يأت بها معطوفة ، بل جعل كل نداء منها خبر فصارت جميعهـا أخبـار مترادفة لقائل واحد؛ ولذا جاءت كل جملة مفصولة عما قبلها. وكما ترى كان الشاعر دقيقًا فى ترتيب جمل ندائه مع كثرة أساليب النداء فى هذه المقطوعة من الأبيات إلا أن ألفاظه وعباراته كانت محكمة الدلالة على الحزن المسيطر عليه فجاءت مرتبطة بسياقها.

تسيطر مشاعر الحزن والأسى على الشاعر عند فقد أصدقائه ، ومما ورد فى سياق الحزن قوله(١)

يامَنْ حَوَاهُ فى الدُنَا لَحْدُهُ*** والقبرُ مَسْرُورٌ بمَا قدْ حَوَى
تَظُنُّـــى أَسْلُوكَ أو أنَّه *** يَنْسَاكَ قَلْبِي لا وحَقِّ الهَوَى

فابن سناء الملك فى هذين البيتين يخاطب مرثيه بخطاب يوجب الحسرة والتوجع، فناداه بـ "يا" للاستغاثة من عظم المُصاب، ولغربته وبعـده عنـه، نزَّله منزلة بُعد المسافة ، ووليها المنادى وبناه على اسم الموصول للتعظـيم والتفخيم، كما أنه يتضمن التشويق إلى ذكر الصلة، فيتمكن المعنى فى ذهـن المخاطب عند سماعها، ولمزيد من الحزن أراد الشاعر تحقيق احتواء القبـر

(١) الديوان ٢/٥٣٤

لصديقه. فعبر بالفعل الماضى فى "حواه" ليثبت المعنى ويؤكده فى ذهن السامع ، مما يزيد الحزن على رحيله، وأخذ الموعظة من ذلك، ثم قيده بالجار والمجرور فى قوله "فى الدنا" للدلالة على لوعته وحسرته فما أصاب مرثيه كان على مرأى ومسمع منه، وفى ريعان شبابه؛ مما يستوجب زيادة مرارة الفقد ، وإذا كانت معانى التعظيم التى يستخدمها الشاعر فى رثائه لمن يحب تستلزم مزيدًا من الألم على فقدهم ، وتعود باللزوم على ممدوحيه برفعة الشأن، واستحقاق المدح ؛ لذا لجأ الشاعر إلى القيد بجملة الحال فى قوله "والقبر مسرور بما قد حوى " لبيان ما كان يتمتع به مرثيه من عظيم الصفات حتى جعلت قبره مسرورًا به ، كما تدَّرج فى التعظيم والتفخيم لمرثيه فعبر باسم الموصول فى قوله " بما قد حوى" فلم يصرح باسم صديقه؛ لكنه عدل إلى التعبير بالموصول لتفخيمه وتعظيمه، وبنى جملته على "قد" والفعل الماضى لتأكيد احتواء القبر له؛ لترتفع نبرة الحزن على فقده، ثم جاءت جملة جواب النداء مبنية على الظن فى قوله " تظنُّنى" ليخبره أنه لن يسلوه ، ولا تطيب نفسه بعد فراقه، ولا ينساه قلبه، وجاء جواب النداء على صورة الاستفهام المقدر أى أتظننى ؟ والرد عليه مما يدل على قوة تعلق قلبه ، وشدة ارتباطه به، مما يوجب زيادة الحزن على فراقه . وآثر التعبير بالمضارع فى "تظننى" لإفادة تجدد وحدوث ، واستمرار الظن منه، فيخاطب الغائب كأنه مشاهد أمام عينيه، مما يلزم ارتفاع نبرة الحسرة، والحرقة على فراقه. وقد أفرغ الشاعر حزنه فى قالب من النداء، وجعله مرتبًا ترتيبًا محكمًا متناسبًا لسياق الحزن المفعم به صدره.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثانى

بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق تعداد صفات المرثى

تتنوع المشاعر التى تنتاب الشاعر ، وتنساب من خلال تراكيبه تبعًا للحالة النفسية التى يمر بها، ففى الفقد تعم أجواء الحزن والتحسر وكثيرًا ما يلجأ الشاعر إلى إبراز المكانة التى يحظى بها المرثى ، والتى لا يحظى بها إلا من خلال صفات حميدة ، وأعمال عظيمة نالت إعجاب الناس حوله، واستمالت قلوبهم فيصور ذلك من خلال رثائه؛ مما يستلزم مزيدًا من الحزن عليه ، وتعود باللزوم على ممدوحيه برفعة الشأن واستحقاق المدح ، ومن الشواهد التى وردت فى سياق تعداد صفات المرثى قوله[١] فى رثاء الشريف الحسينى[٢]:

يَا وَاحِدًا كانَ بالآلافِ نَحْسِبُهُ ... لا وَاحِدًا كانَ مَحْسُوبًا بآحَادِ
يَا أيُّها الطَّاهرُ السَّارى تَطَهّرُه ... فى النَفْسِ والجِسْمِ والأثْوابِ والزَّادِ
لَمْ يَبقَ بَعْدَك مَنْ يُرجَى لتبْصرةٍ ... لم يَبقَ بعْدَك مَنْ يُرجَى لإرْشَادِ
لَمْ يَبْقَ بَعْدَك مَنْ يَحْمِى صَرِيمتَه ... كيْدَ العَدُو ويَكْفِى صَوْلَةَ العَادِى

يعدد ابن سناء الملك مناقب مرثيه ، وما كان يتمتع به من صفات حسنة؛ ليُعلِى قدره، ويُعظِم مكانته ، مما يستلزم علو نبرة الحزن عليه فناداه ب "يا" التى للبعيد ؛ لأنه وجد فى مد الصوت متنفسًا لآلامه المتراكمة فى صدره، وأتبعها المنادى نكرة لتعظيمه مدللًا على ذلك بالنعت بعده فى

---

(١) الديوان ٢/ ٥٠٤

٢ الشريف الحسينى هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن قاسم الشريف الأجل أبو القاسم العلوى الحسينى ت ٥٨٢ هـ بالقاهرة، ولد بدمشق في حوالى سنة٥٢٠هـ – ينظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام المحقق دكتور بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامى الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .

قوله:"كان بالآلاف نحسبه" وهذا دليل على رجاحة عقله ، وقوة رأيه، كما دل تقديم الجار والمجرور على أهمية الشاعر وعنايته بإبراز مكانة المرثى ، وأن له من عظيم السجايا ما يجعله يمثل ألفًامن جنس الرجال، أكد ذلك مجيئه بأسلوب النفى بعده فى قوله "لا واحدًا" حتى يؤكد مراده بإثبات أن فقيده يعد مجمعًا للفضائل ، ولا يدع مجالًا للشك فى ذلك؛ مما يزيد من الحزن عليه ، ثم أتبع النداء بنداء آخر وكرر فيه أداة النداء"يا" لتعظيم مرثيه ووليها"أيها" للتنبيه إلى مكانته وعلو قدره خاصة أنه ناداه بصفة من صفاته التى امتاز بها واشتهروهى قوله:"الطاهر السارى" مما يزيد الحسرة والألم على رحيله ، وهى طهارته ونقاؤه ، ولمزيد من الحسن جاء تعبيره بصيغة تفعل فى قوله "تطهُّرُه" للدلالة على التأكيد و المبالغة فى اتصافه بالطهارة ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، ولم يكتف بذكر الصفة مجملة ؛ بل عمد إلى تفصيلها مستخدمًا العطف بالواو فى إثبات الصفات فى قوله "تطهره فى النفس والجسم والأثواب والزاد" لأنها "تفيد المغايرة وتمايز المعنيين" (١) ، رغبة من الشاعر فى تنوع صفاته وكثرتها لتشمل طهارة الظاهر والباطن معًا مما يستلزم زيادة الحزن عليه، كما أنها جاءت مفصولة عما قبلها لأنها بيان وتوضيح لها فبينهما كمال اتصال ، وبنى جواب النداء على الفعل المضارع المنفى ب "لم" لينفى وجود الشبيه والنظير فى هذه الصفات ، وأن مرثيه كان فريدًا في صفاته مما يوجب الحسرة عليه، وفى تقديم الظرف "بعدك" فى جمل النداء الثلاث دلالة على اختصاص هذا الزمن بهذه الصفات ، أى بعد موته لا يوجد ناصح، ولا مرشد، ولا شجاع ؛ وفى ذلك مبالغة فى تفرده بهذه الصفات

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية د/ محمد أبو موسى ــ دار الفكر العربى ص ٣٦٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذا من باب الاعتراف بمكانته ، مما يستوجب زيادة الحسرة على فقده وقد كان الشاعر دقيقًا فى ترتيب جملة ندائه للتعبير عن المكانة العالية التى يحظى بها مرثيه ظهر ذلك من خلال ألفاظه وتراكيبه مما جعلها على درجة عالية من التناسب مع سياق تعداد صفات المرثى.

ومما ورد من النداء فى سياق تعداد صفات المرثى قوله فى رثاء السعيد الحسينى(١):

تَخَيَّرَتْكَ المَنَايَا وهِيَ حَائِـــــزَةً حَظًّا وكَـــمْ فيكَ مِنْ حَظٍ لمُخْتَارِ
ما المَوْتُ عَارًا وقَد أَغْضَيْتُ حِينَ أَتَى وَأَنتَ ما زِلْتَ لا تُغْضِي عَلَى عَارِ
وأنتَ يا بَدْرُ لمَّا أنْ سَـــــــرَى عنَّا هُدَاكَ ، وَيَا شوْقًا إلى السَّارِى
مازلتَ بدرًا منيرًا غَيْرَ مُنْكَسِـفٍ لِلْمُهْـــــتَدِينَ ونَجْمًا غَيْرَ غَوَّارِ(٢)

يذكر الشاعر فى هذه الأبيات بعضًا من صفات المرثى ؛ والتى من أجلها نالت المنايا حظًا باختياره فخاطبه بقوله : "يا بدر"وناداه ب " يا " التى ينادى بها البعيد إشارة إلى تعظيمه ، وأنه ليس بالشئ الهيِّن وأخرج المنادى فى صورة الاستعارة فى قوله : " بدر " للمبالغة فى وصفه بالهداية والحسن مع ما يفيده التنكير من التعظيم ، ورشَّح الاستعارة بذكر الملائم للمشبه به وهو قوله : " سرى " وهو من خصائص البدر إلا أنه استعير لغياب المرثى، وقد جاء بمضمون جملة النداء هنا جملة شرطية ؛ ليجعل من ذلك وسيلة تشويق تساعد فى تحريك المتلقى ليستقبل المعنى بنوع من الرغبة واللهفة ، وامتدت جملة الشرط عن طريق تقديم الجار والمجرور " عنا " على متعلقه " هداك " لإرادة تخصيصهم بأنهم هم مَنْ تأثروا بغيابه، وأصابهم الألم والجوى

(١) الشريف السعيد هو أبوالحسن على بن حسان الحسينى – ينظر الديوان ص٥٠٨
(٢) الديوان ٢/ ٥٠٨

ثم أتى بنداء آخر مستعملاً أسلوب العطف فى قوله"ويا شوقًا إلى السارى" للدلالة على مشاركته المعنى وهو الحسرة والحزن لوفاة المرثى ، ويقصد بالسارى المرثى، وفى النداء مايظهر اللهفة إلى رؤيته و زيادة الحزن على غيابه ، ولدلالة استمرار نفعه وهدايته عبر بفعل يدل على الاستمرار وهو قوله "ما زلت "ثم بالغ فى وصفه بالحسن و الهداية ، فقيَّده بالنعت فى قوله "منيرًا" وبناه على اسم الفاعل لثبوت هذه الصفة لمرثيه ودوامها ، ثم تدَّرج فى المدح فأتبع بصفة أخرى مبنية على أسلوب الاستثناء فى قوله : " غير منكسف " ليثبت تفوُّق مرثيه على البدر الحقيقى فى أنه لا يعتريه كسوف ولا غياب فهذا وصف خاص بالمرثى دون البدر مما يوجب زيادة الحزن عليه ، ويوالى ذكر صفات المرثى بأنه نجم مضئ إلا أنه لا يعتريه الغياب جاء ذلك عن طريق أسلوب الاستثناء الدال على التخصيص بأنه ثابت لا يغيب ، كل هذه الأوصاف تشير إلى الغرض الأساس منها هو إبراز مكانة المرثى ، وعظم أمره مما يستوجب مزيدًا من الحزن على فراقه ، ومن الملاحظ أن جملة النداء بألفاظها وتراكيبها قد أدت مراد الشاعر، وعبرت أتم تعبير عن مقصده فى رفع نبرة الحزن على مرثيه ، وذلك بمدحه بأجلِّ الصفات وأعظم السجايا التى استحق من أجلها المكانة الرفيعة والمنزلة العالية .

ومنها قوله فى رثاء والده القاضى الأجل الرشيد أبى الفضل جعفر ابن سناء الملك [١] :

مَضَى طَاهِرُ الأَثْوَابِ مِنْ كُلِّ رِيبَةٍ ... وأَثْوَابُ أَطْهَارِ البَرِيَّةِ أَطْهَارُ
طَرَائِقُهُ بيْنَ الأَنَامِ مَرَاشِدٌ ... وأَخْبَارُهُ بيْنَ المَلاَئِكِ أَسْمَارُ
وَقَدَ شَكَرَتْ مِنْهُ الصيامَ أصائلٌ ... وأَثْنَتْ عليْهِ بالتهَجُّدِ أَسْحَارُ

(١)نفسه ٢/ ٥١٢ ، ٥١٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رأَتْ أنْفُسٌ أكفانَهُ وهْى سندُسٌ وإنْ أبصرتْها أعْيُنٌ وهْى أَطْمارُ
وَشَيَّعَهُ التكْبيرُ حتَّى إذا ثَــوَى تلقَّاهُ إجْلالٌ هناكَ وإكْبَــــــارُ
فَيَا نفسُهُ فيكِ السَّكينةُ والهُــدَى وفوْقَكِ سِرٌ فيهِ للهِ أَسْــــــــرَارُ
وَيَا حَامِلِيهِ قدْ حَمَلْتُم أمَــــانةً تَخِرُّ لهَا شُمُّ الجِبالِ وتَنْهَــــــارُ
ويَا قبرُهُ لاشَكَّ أنَّك جنَّــــــةٌ ولَكِنْ بِهَا منْ أدْمُعِ الَخلْقِ أنْهَــــارُ
ويَا تُربَهُ قدْ صِرْتَ مِسْكاً بطيبِهِ فَلَا زائرٌ إلَّا بمِسْكِكَ مِعْطَــــــارُ
ويَاأرْضَهُ إنْ يَنْكَسِفْ بكِ بدرُهُ فما بَرِحَتْ فى الأَرْضِ تَكْسَفُ أقْمَارُ

ساق ابن سناء الملك هذه المقطوعة من الأبيات ضمن قصيدة كبيرة رثى فيها شخصًا عزيزًاعلى قلبه ، بل أحب الناس إليه وهو والده ذكر فيها بعضًا من خلاله الطيبة وصفاته الحسنة التى استحق من أجلها المكانة العالية بين الناس ، ويلزم بالضرورة الحزن العميق لفقده ، فيصفه بأنه كان فى حال حياته طاهرًا من كل ريبة ، صائب الرأى ، أعماله تتسامر بها الملائكة كما أنه صوَّام قوَّام ، ثم تتبع أوصافه بعد مماته بأن أكفانه من سندس، وستظل كذلك فى عين كل مبصر حتى بعد بلائها، وتبعه المشيعون بالتكبير حتى مثواه ، ثم رثاه بنداء يفيد الحزن والحسرة فى قوله"يا نفسه فيك السكينة والهدى" واستخدم معه " يا " لأنه وجد فيها متنفسًا لخروج آلامه وأحزانه المفعم بها صدره ، وجاء بالمنادى مضافًا إلى ضمير الغائب لغيابه عن الحضرة ، كما أن فيه إشارة إلى تعظيم والده ، وعدم قدرته على التصريح باسمه ، وجاء جواب النداء مبنيًا على الجملة الاسمية للإخبار بتقرير وثبوت المكانة الرفيعة لوالده ، و بالغ فى مدح والده فقصر السكينة والوقار عليه قصرًا ادعائيًا لبيان أن هذه الصفة قاصرة على والده فقط ، وذلك بتقديم الجار والمجرور فى "فيك"على متعلقه ، كما خص أباه أيضًا بالصفاء وعظم القدر

عند المولى عز وجل لتخصيصه بسر عظيم من أسرار الله جل وعلا، جاء ذلك بتقديم الظرف وتنكير المسند إليه الذى أفاد التعظيم فى"وفوقك سر" ، ووصف مرثيه بهذه الصفات يستلزم بالضرورة زيادة الحزن عليه ثم انتقل إلى وصف جنازة أبيه مخاطبًا حاملى جثمانه قائلًا:

يا حَامِلِيهِ قد حَمَلْتُم أَمَانةً تخِرُّ لها شمُّ الجِبَالُ وتَنْهَارُ

وينادیهم نداء حسرة وحزن "يا حامليه "وكرر معه الأداة للتعبير عن حزنه و ألمه وهو يرى والده محمولًا على الأعناق، وجاء المنادى مضافًا إلى ضمير الغائب لغيبته كما أفاد تشريف المضاف إليهم لكونهم يحملون جثمان أبيه الطاهر، وبنى جواب ندائه على "قد" والفعل الماضى فى " قد حملتم أمانة" لتحقيق المعنى، والتأكيد على أنما يحملونه أمانة عظيمة دلالة على علو قدر والده ، ولم يقف عند هذا الحد بل امتدت الجمل فأتى بجملة النعت قيدًا فى قوله "تخر لها شم الجبال وتنهار"مبنية على المضارع لاستحضار صورة خر الجبال الشامخة وانهيارها تقديرًا وإجلالًا لوالده، كل ذلك يستوجب الصبر على فراقه ، وتخفيفًا لما فى نفسه من حسرة ومرارة.

ومن حاملى الجثمان إلى نداء القبر قائلًا:

ويا قبرَه لا شَكَّ أَنَّكَ جَنَّة ولَكِنْ بهَا من أدْمُعِ الخَلْقِ أَنْهَارُ

تتوالى الحسرات والندبة من الشاعر لفراق والده فينادى قبره ــ ــوهو يعلم أنه لا يجيب ؛ للتعبير عن حالته النفسية تجاه فقد والده ، ويخاطبه مضافًا إلى ضمير الغيبة لضيق صدره فهى أخصر طريق إلى ذهن السامع ، ثم لما أراد إثبات أن قبره صار جنة بدفن والده فيه، أكد ذلك بأسلوب يدفع الشك ، ولا يقبل الارتياب فجاء ب "لا" النافية للجنس، وأعقبها بالجملة الاسمية دلالة على ملازمة هذه الصفة للقبر وهو كونه جنة، وفيه من تعظيم والده ما فيه، ثم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يعود فيصور مدى الحزن الهائل لفقده بأسلوب الاستدراك بقوله "ولكن بها من أدمع الخلق أنهار" أى مع أن قبره جنة إلا أن بها أنهارًا من الدموع ، وأكد ذلك بتقديم الجار والمجرور فى "بها" و"من أدمع الخلق "للاهتمام ، وللمبادرة إلى المعنى المطلوب حيث إرادة الحزن والتحسر على الفقد هو مقصد الشاعر وهو ما أفاده التقديم، وينتقل الشاعر إلى وصف تربة القبر بعد وضع والده فيها فيقول :

ويَا تربَه قد صرْتَ مِسْكًا بطيبِهِ فلَا زائِرٌ إلا بمِسْكِكَ مِعْطَارُ

وينداديها نداء العاقل البعيد نداء حسرة وألم بقوله"ويا تربه" ويأتى الجواب مبنيًا على "قد "والفعل الماضى ليؤكد مراده بأن تربة قبر والده مِسْكًا ، وفى التعبير بقوله"صرت"دلالة على أثر دفن والده فيها، وأن ما حدث فيها من تغيير وتحول كان بسبب جمال رائحة والده، وفى تقديم المفعول "مِسْكًا" المبادرة إلى المطلوب من تعظيم المرثى، وبيان مكانته ، ومدحه بأخصب الصفات وأجلها وهى صيرورة تربة قبره مسكًا، ثم انتقل إلى تفصيل و بيان الفائدة من كون تربته مِسْكًا، فعطف بالفاء التفصيلية[١] فى قوله "فلا زائر" لتفصيل أثر المسك فى زوار قبر والده ، والتنكير فى "زائر"لإفادة العموم لوقوع النكرة فى سياق النفى[٢] ، واستخدم أسلوب القصر لتخصيص عطر الزائرين بمسك والده ، وفى ذلك مبالغة فى وصفه بالحسن ، وللمبالغة فى المدح والثناء عبر بصيغة المبالغة فى "مِعْطَار"للدلالة على كثرة العطر الذى

(١) من أسرار العطف فى القرآن الكريم (الفاء) و (ثم) للدكتور محمد الأمين الخضرى ص ٥١ مكتبة وهبة – الطبعة الثانية – ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧ م

(٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعصام ١ /٣٤٠الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م دار الكتب العلمية بيروت

يحظى به من يزوره ، ثم ينتقل إلى التعبير عن القبول والرضا بقضـــاء الله ، واستسلامه لإرادته مخاطبًا الأرض التى كان يعيش عليها والده ويقول:

وَيَا أَرْضَهُ إِنْ يَنْكَسِفْ بكَ بَدْرُهُ فمَا بَرِحَتْ فى الأَرْضِ تَكْسَفُ أَقْمَارُ

فيناديها ب " يا " للتحسر والندبة لفقد أبيه. وعلَّق جملة النـــداء علـــى أسلوب الشرط الوارد بأسلوب الكناية لمزيد من الثناء والمدح ، فكنى بكسوف البدر عن فقد والده ، وفى التعبير بصيغة المطاوعة دلالة على أنه لا يد لأحد فى الموت فسهامه نافذة ، وما علينا إلا الرضا والقبول ، ثم تأتى جملة جواب النداء فى قوله "فما برحت فى الأرض تكسف أقمار" لتـــدل علـــى أن ســـهام الموت مستمرة لا يسلم منها أحد ؛ فالموت كأس كل الناس شاربه ، فيـــتمكن المعنى فى ذهن المخاطب . ولوحظ أن ترتيب جمل النداء جاء مصورًا حب الشاعر الشديدلأبيه فى حياته وبعد مماته وذلك بما ذكر من صـــفات المـــدح والتعظيم التى تُعلِى مكانة والده فتزيد الحسرة على فراقه.

ومن جمل النداء التى وردت فى سياق تعداد صفات المرثى قوله فـــى رثاء جده [١]:

يَا رَاحِلًا وجَمِيلُ الذِّكْرِ يَخْلُفُهُ بقاءُ ذِكْرِك مَسْلَاةٌ عنْ العَدَمِ

إِنْ افتُقِدْتَ فذِكْرٌ غَيْرُ مَفـــتَقَد أو انْهدَمْتَ فشَكْرٌ غَيْرُ مُنْهَدِمِ

خَلَّفْتَ أُحْدُوثةً حَسْنَاءَ طَيَّبَـــةً وتِلْكَ إِرْثٌ ولَكِنْ غَيْرُ مُقْتَسَمِ

لجأ ابن سناء الملك إلى ذكر صفات أخلاقية حميدة كان يتمتع بها جـــده منها أنه ذو سيرة حسنة وأن ماتركه من الذكر الجميل يجعله حيًا أبد الدهر ؛ وذلك ليخفف عن نفسه ما يعانيه من ألم وحسرة ؛ ولذا أتى ب "يـــا" ليســـمح بخروج آهاته مع ما فيها من حرف المد ، ووليها المنـــادى نكـــرة مقصـــودة

١ الديوان ٥١٨/٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لتعظيمه، ثم قيَّد المنادى بجملة الحال ليكشف عن حال المرثى أثناء رحيله ، كما أن بناءها على اسمية الجملة يفيد ثبوت الوصف ودوامه أى سيظل ذكرُهُ طيباً دائمًا ،ويؤكد هذا المعنى بناء جملة جواب النداء على اسمية الجملة فى قوله: " بقاء ذكرك مسلاة عن العدم " أى يبعث على السلو والنسيان ؛ لأن الذكر الطيب ينسى عدم وجود صاحبه ، ثم جاء البيت الثانى يوضح ما أبهم فى قوله: " مسلاة عن العدم " فيقول: إن افتقدت فذكر غير مفتقد أى إن فقدت جسدًا فذكراك الطيبة موجودة ، وأفعالك الحسنة لا تهدم وإن انهدمت ، فتتابعت القيود بالجملة الفعلية الشرطية وعبر ب" إن "الشرطية دون "إذا" لإفادة الشك[١] فى فقده فهو حاضر بقلوبهم، وحذف ضمير الخطاب " فى " فذكر" و"فشكر" لقيام قرينة تدل عليه ، وأصل الكلام :"فذكرك" و " فشكرك " وإخباره عنه بأنه خلق أحدوثة طيبة جملة خبرية للتفاؤل وإدخال المسرة ، واعتبرها الشاعر إرثًا " فهى ملك له لأنها دأبه وطبعه ، وعبر بالقصر بتعريف الطرفين فى و" تلك إرث " لتخصيص هذا الإرث ـــ وهو ما خلفه من الذكر الطيب ــ بالمرثى لا يشاركه فيه أحد ، وإيثاره الإشارة ب " تلك " للدلالة على عظم هذه الصفة وهذا الإرث، و يُلاحظ أن الشاعر وظَّف الترتيب فى جملة النداء توظيفًادقيقًا فى التعبير عن المعنى المراد من ثبوت طيب الذكر لجده بعد رحيله،وأنه يظل باقيًا أبد الدهر لأن ما خلفه من جميل الذكر يُعَد أرثًا خاصًا به ، كل ذلك يستلزم المزيد من الأسى على فقده

ومن شواهد جملة النداء التى وردت فى سياق ذكر صفات المرثى قوله فى رثاء الأسعد بن مماتى[٢]:

١ــ ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٩ /٤ مكتبة المتنبى

(٢) الديوان٢/٥٣٠ ــ الأسعد ابن مماتى هو أسعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا ابن مماتى : وزير أديب كان ناظر الدواوين فى الديار المصرية ، مولده بمصر ، ووفاته بحلب ، كان نصرانيًا فأسلم هو وجماعته فى ابتداء الدولة الصلاحية _- ينظر الأعلام للزركلى ٣٠٢/١ .

يا ثَالِثَ القَمَرَيْن حُسْنًا قَدْ بَكَـــى حُزْنًا لأَجْلِ مُصَابِكَ القَمَرانِ
دِينَارُ وَجْهِكَ حينَ أُهْبِطَ فى الثَرَى كَادَتْ تَفِرُّ الشَّمْسُ للمِيزَانِ

خاطب الشاعر مرثيه بنداء يدل على التحسر والتفجع ، وجعل المنادى صفة فى قوله " ثالث القمرين " لإضافة مزيدًا من الحسن حتى يزيد الحـــزن على فقده ، كما أنه عمد إلى الإطناب وبسط الكلام فى إبراز حسنه فجاء بـــه مركبًا فى " ثالث القمرين " وهذا يدل على تعدد المعانى الذى يقصدها الشاعر ، ثم قيده بالتمييز الذى يدل أيضًا على مزيد من الجمال والحسن، وذلك فـــى قوله " حسنًا " وذلك حتى ترتفع نبرة الحزن على فقده ، ويؤكد هـــذا المعنـــى مجئ جملة جواب النداء مبنية على الفعل الماضى المقرون ب " قد " فى قوله " قد بكى " ، وتتنوع القيود فى بيت الشاعر ففيه تقديم للمفعول على الفاعل فى قوله " قد بكى حزنًا لأجل مصابك القمران " للاهتمام والعناية لأن المعنى الأم فى الرثاء الحزن لفقد المرثى ؛ ولما أراد أن يخصص سبب البكـــاء، ويبـــين علته قدَّم الجار والمجرور فى " لأجل مصابك " ليبين أن بكاءهما كان بسبب حزنهما على فقده ، وصورت الاستعارة المكنية فى قوله بكى القمران مـــدى الحزن الذى عمَّ الكون فلم يقتصر الأسى على الإنسان بل تجاوز إلى الشمس والقمراللذَيْن بكياحزنًا ممأصابه وفى هذا مبالغة فى وصف الحزن، ثم امتدت الجمل وأتبع بوصف آخر للمرثى بناه على صورة التشبيه من إضافة المشـــبه به للمشبه فى قوله " دينار وجهك " يريد أن مما يتميز به المرثى أن وجهه فى بريقه واستدارته ولمعانه كالدينار وهذا يستوجب زيادة الحزن عليه .

ثم قيد بالظرف فى قوله "حين أهبط فى الثرى" لبيان الزمن الذى احتجت فيه الشمس ، وانتابها الحزن هو وقت وضع وجه مرثيه فى التراب ، وكادت الشمس أن تفر للميزان طلبًا للعدالة ، وهذا من الغلو المقبول لَأنه قرن به ما

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقربه للصحة بلفظ "كادت" ، وجاء تعبيره مبنيًا على أسلوب الكناية ليدل على أن كل شئ أصابه الحزن على فراقه حتى الشمس مع رفعتها حزنت على دفن وجهه الجميل فى الثرى ، فقد أفرغ الشاعر فى جملة ندائه من الألفاظ والصور مايجعلها متناسبة مع سياق مدح المرثى وتعظيمه الذى يستوجب باللزوم زيادة الحزن عليه ومنها أيضًا قوله(١):

يَا أَيُّهَا الغُصْنُ الذى قد ذَوَى ... بلْ أَيُّهَا النَّجْمُ الذى قدْ هَوَى
بَكَيْتُ مِنْ حُسْنِكَ كَيْفَ اخْتَفَى ... عنَّا ومِنْ شَخْصِكِ كَيْفَ انْطَوَى
كَتَمْتَ ذاك الوَجْهَ لمَّا انْتَهَى ... حُسْنًا وَذَاكَ القَدَّ لمَّا اسْتَوَى

يعبر ابن سناء الملك فى هذه الأبيات عن حزنه وألمه لفقد مَنْ يحب ، ويلجأ إلى ذكر بعضًا من صفاته التى ناداه بها فى قوله: " يا أيها الغصن " وناداه ب"يا" للإشارة إلى بُعْد منزلته ، وأتى ب " ها " بعد النداء لتنبيه المخاطب أنه المقصود بالنداء(٢) ، و لمزيد من اتصافه بالحسن أخرج المنادى فى صورة الاستعارة حيث ناداه بالغصن الدال على حسن الهيئة واعتدال القامة لإبراز محاسنه مما يلزم الحزن العميق على فقده إيفاءً بحق الصحبة ، ثم قيَّده بالنعت فى قوله " الذى قد ذوى " فقد جعل صلة الموصول مبنيَّة على الفعل الماضى المقرون ب " قد " تحقيقًا لفقده ، وتأكيدًا لحسرته عليه ، هذا بالإضافة إلى أن النعت بالموصول يوحى بالتشويق إلى الخبر ، ثم أثبت له صفة أخرى فخاطبه بالنجم إلا أنه حذف الأداة هنا مشيرًا إلى قربه من قلبه ، وبنى كلامه على الاستعارة فى قوله "النجم "

(١) الديوان ٢/٥٣٤
(٢) مغني اللبيب ٢/١٣

التى أفادت المبالغة فى جعل صاحبه هاديًا ومرشدًا ، ثم رشَّح الاستعارة بذكر قوله " هوى " الذى يؤكد غياب صاحبه كما أنه عبر بالسقوط ليدل على غيابه غيابًا أبديًا ، وجاءت جملة الجواب فعلًا ماضيًا دلالة على حدوث البكاء ثم عدَّد أسباب البكاء مقدمًا الجار والمجرور " من حسنك " للمسارعة من أول الأمر إلى مقصده من مقطوعته وهو وصف مرثيه بالحسن والجمال ، ثم أردف علة أخرى للبكاء مستخدمًا العطف بالواو الدالة على التغاير بين الشيئين وهى غياب شخص فلم يعد له وجود مما يوجب الحسرة على فراقه، فالكلام آخذ بعضه برقاب بعض ، وهذا ما دعا إليه ابن الأثير من أن مطلع الكلام من الشعر لابد وأن يكون دالًا على المعنى المقصود من الكلام إن كان فتحًا ففتح ، وإن كان هناءً فهناء[١] . ومن الملاحظ أن الشاعر هنا كان دقيقًا فى ترتيب جملة ندائه ،سواءً مع حذف الأداة أو ذكرها، بدا ذلك من خلال أساليبه وصوره التى اعتمدعليها في بناء سياقه مما جعل النداء ملائم للسياق.

(١) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي – بدوى طبانة ٣ /٩٦ دار نهضة مصر – القاهرة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثالث

بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق أثر الفقد

يسبب فراق الأهل والأحبة جرحًا عميقًا فى النفس، يترك صاحبه وقد ملأته الحسرة والألم، وتتنوع هذه الجراح حسب مكانة المرثى سواء كان من الأهل ، أومن الأحباب أو من ذوى المكانة الرفيعة أوغير ذلك.

ومن شواهد أثر الفقد فى رثاء بابن سناء الملك قوله فى رثاء جارية (١)

يَامُهْجَتَي ذُوبى ، ويا دَمْعَتَي اسْكُبى *** ويَاكَبدِى شِيبى ، ويَا لَوْعَتِى شُبِى

وَلَمْ أُبْقِ منِّى العَيْنَ إلَّا لأَنَّها *** تُرِيحُ ثَرَاكِ الحُرَّ مِنْ مِنَّة السُّحْبِ

فالشاعر هنا يعبر عن أثر الفراق بأساليب عدة منها نداءه مهجته وأمرها بالذوبان أى خروج روحه، وسيلان دمعه، وشيب كبده أى ضعفها، وشدة لوعته وحرقته، واستعمل فى رثائه النداء ب "يا"التى لنداء البعيد مع أنه ينادى أعضاء جسده ؛ لمناسبتها امتداد خروج الآهات المُفْعَم بهاصدره بسبب الحزن وشدة اللوعة التى أصابته حتى جعلته يخاطب أجزاء جسده بأن تبلى ويصيبها الوهن ، وكأنها أشخاص تشاركه مايحس به من الحسرة والألم لفقد مَنْ يحب ، وفى إضافتها إلى ضمير المتكلم حث لها على الامتثال، وأدعى لقبول ماتُدْعَى إليه ، وجاء جواب النداء مبنيًا على جملة الأمر فى الأفعال الأربعة "اسكبى ، وذوبى وشيبى وشبى"، وكرر أداة النداء فى كل منها ليصور حالته النفسية السيئة جرَّاء ما أصابه ، وقدَّم خطاب المهجة على غيرها من سائر أعضاء جسمه لأنها أهم عضو فى الإنسان ، وبدونها يصير جثة لا قيمة له ، ، وذلك دليل على استعداده للتضحية بأغلى ما يملك حزنًا على مرثيته ، وجمع الشاعر عن طريق العطف بالواو من الصفات ما يحقق

---

(١) الديوان ٤٩٨/٢

مآربه فى إبراز آثار الفقد، وقرن كل صفة بما يناسبها. فذكر المهجة ــ وهى دم القلب ــ وقرنها بما يخصها وهوالذوبان، وقَّدمها لأنها أصل الحياة، وأهم ما فى الإنسان فعند خروجها من الإنسان يصير جثة هامدة لا قيمة له، فالتقديم للاهتمام والعناية ، ثم قرن الدموع بما يخصها وهو السيلان، والكبد بالشيب لضعفها، أما اللوعة فقرنها بالقوة؛ وهى المناسبة لحالته فهو فى لوعة شديدة بسبب الفراق، فراعى فى بناء الجمل وبوجه من اللطف المناسبة فى الصفة، وبنى جواب النداء فى الجملتين الثالثة " وياكبدى شيبى" والرابعة "يالوعتى شبى" على الاستعارة المكنية مبالغة منه فى إبراز حزنه الشديد ، وحرقة قلبه حتى إن كل عضو من أعضائه صار إنساناً يشيب ويشب ، ويُصَاب بالوهن والضعف تأثُّرًا بما حدث ، كما أبرز الطباق بين "شيبى وشبى"مدى اللوعة والحسرة التى يحس بها الشاعر، كما أبرز المفارقة بين الحالين وذلك بالجمع بين الضدين ضعف الكبد وقوة حرقته وحزنه، وكمايلاحظ أن أسلوب النداء أبرزما أراده الشاعرمن آثارالفقد، فقد عم الحزن واليأس جميع أعضائه، وأصابها الوهن، وفى المقابل زادت حرقة قلبه حزناً على جاريته، مما جعل ترتيب جملة النداء متلائم ومناسب لسياقها.

ومما ورد فى سياق أثر الفقد قوله يرثى الشريف السعيد أبا الحسن على بن حسان الحسينى وكان بينهما صداقة: (١)

وَا وَحْشَةَ الدَّار لمَّا غَابَ مَالِكُها *** عنْهَا وقَلْبِى هو المَعْنىُّ بالدَّارِ
أَعْدَيْتَ طَيْفَكَ صِدْقًا لم يَزُرْ مَعَهُ *** فلَسْتُ أَحْظَى بِطَيْفٍ منْكَ زوَّارُ

يندب الشاعر ويتحسر على غياب صاحبه، ويخبرنا أن الدار صارت موحشة ، مخيفة بعد غياب صاحبها، ليس فيها أنيس ولا جليس، وذكر فى

(١) الديوان ٥٠٨/٢ ــالشريف سبقت ترجمته ينظر ص ٣٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشطر الثاني أن قلبه هو الذى متعلقاً بها، متحملاً أعباء الفراق. فعبر ابن سناء الملك عن أثر فقده لصديقه بإظهار حسرته على وحشة الدار إثر غيابه، واستعمل "وا" الدالة على الندبة (١) والتحسر لمناسبتها لمقام الحزن والجوى بسبب فقده صاحبه ، وخاطب الوحشة الذى ملأت المكان زيادة فى التحسر والأنين الذى ملأ قلبه، ولما كان غياب صاحب الدار سببًا فى وحشتها أتى بـ "لما" الدالة على وجود شئ لوجود غيره فى الزمان الماضى (٢)، ثم اتجه الشاعر إلى بيان أن قلبه حزين لفراق صاحبه، وأنه هو المهتم بداره ، ويقصد هنا بالدار صاحبها.لأن القلب لا يتعلق بالدار وجدرانها ، وإنما يتعلق بأصحابها ففيه مجاز مرسل لعلاقة المحلية ، وقصد تعليق قلبه بصاحبه عن طريق القصر بتوسط ضمير الفصل لتخصيص قلبه بما حدث ، وإصابته بالحزن الشديد، وخص القلب لأنه مجمع الأفراح والأحزان ، وهذا التحسر من الشاعر وندبه الديار ووحشتها يدل على مكانة المرثى عنده ، وحبه الشديد له ، وجاء ترتيب ألفاظه وفق ترتيب معانيه فبدأ أولًا بندب المرثى ، ووحشة الديار بعده، ثم بذكر السبب، وأخيرًا بين من المتأثر بما حدث فجاءت ألفاظه وجمله مرتبة ترتيباً بلاغيًا مناسبًا للسياق.

ومنها أيضاً قوله فى رثاء جماعة من أهله(٣)

مَا لحَيَاتِي بَعْدَهُم منْ طَعْم *** ويَا افْتِقَارى بَعْدَهُم وعُدْمِي
ويَاضَلَالى بعْد فَقْدِ نَجْمِى *** ويَاهُمُومًا لا تَزَالُ تُنْمِى
ويَادُمُوعًا لا تَزَالُ تُهْمِى *** تَكْثُرُ أنْ أسْتَرَهَا بكُمِّي

(١) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ٣٢/٢ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
(٢) نفسه ٢٩٤/١
(٣) الديوان ٥٢١/٢

يعانى الشاعر مرارة الفقد بعد رحيل أحبته، وأن لا طعم للحياة بعدهم ، وهذا كناية عن الإحساس بالمرارة والألم والحرمان وكان الشطر الأول تمهيدًا للنداء فى الثانى ففى قوله " مالحياتي بعدهم من طعم" إبهام وغموض وضَّحه بقوله "فيا افتقارى بعدهم وعدمى" فهو فى حالة افتقار بعد فقدهم فنداء الافتقار، والضلال، والهموم نداء حسرة ، وتوجع مما أصابه بعد فقْد من كانوا يمنحونه حلاوة الحياة ، وكانوا له نورًا يهتدى بهم فى ظلمات الحياة ، وجاء التعبير بصيغة "افتقار" مبالغة فى اتصافه بالفقر إلى حنانهم وعطائهم ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وقيَّد جملة النداء بالظرف فى "بعدهم" ليبين زمن إحساسه بالفقر، وأنه بدأ مع رحليهم ومرتبط به ، وجاء به مقدمًا للتخصيص ، ولأنه المعنى الأم فى الأبيات فمأصاب الشاعر كان منذ ذلك الوقت فقط، وترقَّى فى وصف أثر فقده لأهله فوصف حاله بالافتقار ثم وصفها بالعدم فكان ترتيب القيود على وجه من التدرج فى التفصيل فى وصف أثر فقده لمحبيه مما يستوجب شدة الحزن عليهم.

ويتوالى فى بيان أثر الفقد ويمتد ليصل إلى البيت الذى يليه قائلًا:

وَيَاضَلا لى بَعْدَ فَقْد نَجْمِى ويَاهُمُومًا لا تَزَالُ تُنْمِى

فيتحسر ابن سناء الملك على فراق محبيه ويخاطب حاله الضال بعد فقد ناصحه مستخدمًا " يا"التى للندبة والتفجع؛ لما أصابه من الألم والحرمان ، مخرجًا ما يكمن داخل نفسه من الآلام والآهات ؛ إشعارًا من الشاعر لوفائه بحق المرثى لكونه صاحب فضل عليه، وأبرز ذلك فى صورة الاستعارة الأصلية "نجمى " فجعله نجمًا أى مرشدًا وهاديًا له إلى كل خير وصواب ، وإضافته إلى ضمير المتكلم للتخصيص و الملكية ممايتسبب عن فقده الحرقة والضياع

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتقييد بالزمان فى " بعد فقد نجمى " لبيان وتحديد زمن اتصافه بالضلال ، وأنه صار هكذا بعد فقد صاحبه، إذ ربما فُهِمَ أن هذا دأبه ، ولا شأن لما حدث به، ومن صور آثار الفقدعند الشاعر أيضًا زيادة همومه وكثرتها ، فُهِمَ ذلك من التعبير بصيغة الجمع فى قوله " همومًا" الذى أفاد الكثرة، وفى التقييد بالوصف فى "لاتزال تنمى" من النماء وهو الزيادة والكثرة(١) دلالة على استمرار زيادة حزنه وكثرته بسبب عدم نسيان أحبته، وحزنه وتفجعه على موتهم. ويمضى فى تعداد أثر الفقد فيقول فى البيت الذى يليه: (٢)

ويَادُمُوعاً لا تَزَال تُهْمِى *** تَكْثُرُ أَنْ أَسْتُرَها بكُمِّى

يذكر الشاعر هنا أثرًا من آثارفراق الأحبة وهو أن دموعه مستمرة الهطول من عينيه حزنًا وألمًا، وحسرة ومرارة ، فنادى دموعه وخاطبها وأتى بـ "يا" لمناسبتها الندبة والحزن الذى يكمن فى نفس الشاعر، كما أنه أتى بوصفين لدموعه أحدهما دال على الاستمرار وهو قوله " لا تزال تهمى" من همى يهمى أى تسيل وتصب(٣) والآخر دال على كثرتها وهو "تكثر أن أسترها بكمى" وعبر بها على صيغة الفعل المضارع إشارة لتجدد دموعه وأنها لا تنقطع ، إلا أنه قدم النعت بالاستمرارية على الكثرة لأنه الأولى والأهم فى بيان حزنه، وتأثره بفقيده ،إذ أن الاستمرار يدل على بقاء الحزن وتجدده، فقدم ما يناسب المقام وهذا يدل على دقة الشاعر فى اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى المناسب.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٧١٠/٨ دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
(٢) الديوان ٥٢١/٢
(٣) لسان العرب ١٤٢/٩

ومن شواهد النداء التى وردت فى سياق أثر الفقد قوله:([1])

يَا دَهْرُ تأْكُلُ أحبَابى وتَفْرسُهُم *** ما أنتَ يا دَهْرُ إلا ضَيْغَمٌ ضَارِى

فَيَا افْتِقَارى إذا أفْنَيْتَ مُدَّخَرى *** ويَاضَلَالى إذا غيَّبتَ أقْمَـــــارى

يتحسر ابن سناء الملك مما يفعله الدهر فى أهله ومحبيــه ، فيخاطبــه متحسرًا متعجبًا بـــ "يا" التى تساعده على خروج ما ألمَّ بنفسه من آلام وأحزان ، وجاء خطاب الزمان مترجمًا للحالة النفسية التى يمر بها الإنسان من حسرة وأسف وغيرها، وجاء المنادى نكرة تحقيرًا لفعلته الشنيعة بمحبيه، وللدلالــة على تجدد فعل الدهر واستمرار ذلك منه عبَّر بالمضارع فى "تأكل وتفرس" ، فالموت غير مختص بزمان معين ، بل مستمر على مدى الأيام ، ولما كــان فعل الدهر ليس قاصرًا على واحد بعينه، بل يتناول الجميع بأنيابــه كالأســد أخرجه فى صورة الاستعارة للمبالغة فى تصوير الافتراس، وأنه لايفر منــه أحد، ولإرادته قصر افتراس أهله و أحبابه على الدهر عبر بأسلوب القصــر فى " ما أنت يادهر إلا ضيغم ضارى " فجعله أسدًا يهاجم فريسته ويقضــى عليها، وللمبالغة فى سرعة الهجوم وقوة الفتك قيَّده بالنعت بالصفة "ضارى" فهو ليس مجرد أسد ، وإنما أسد ضارى مولع بأكل اللحوم من ضرى بالشئ إذا اعتاده فلا يكاد يصبر عليه[2] ، وما على الفريسة إلا الاستســلام فهكــذا الموت لا يمكنه رده ، ولا يصلح معه حزم ولا عزم لكونه قَدَرًا وسهمًا صائبًا لكل حى، فهو يحمل الدهر جرم الفادحة التى يصيب بها أهله وأحبتــه ، ثــم يأتى البيت الثانى موضحًا أثر فعل الدهر فيمن يفترسهم فيقول:

فيا افتقارى إذا أفنيتَ مدَّخرى *** ويا ضلالى إذا غيبتَ أقماري

---

(١) الديوان ٥٠٩/٢

(٢) ينظر لسان العرب مادة ض ر ا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فصَدَّر بيته بالنداء التى يحمل معنى الحسرة والندبة على فقد كل غال وعزيز لديه من أهله وأصدقائه الذين افترسهم الدهر بأنيابه. وعبر بصفة افتعال "افتقار" مبالغة فى اتصافه بالفقر بعد فقد أحبته ، ولعله يقصد بالفقر هنا فقر العطاء الحب، والحنان الذى كان يمنحونه له.

كما يخاطب الضلال الذى حلَّ به بسبب فقدهم أيضًا فى قوله " ويا ضلالى" وهذا خطاب حسرة وندبة لأنه صار بدون ناصح ولا مرشد بعد غيابهم غيابًا أبديًا.

وإضافة المنادى إلى ياء المتكلم فى "افتقارى" و" ضلالى" لتخصيص نفسه بكل فقر، وبعد عن الهداية بسبب فقدهم ، وهذا نابع من حسرته على أحبته، وحزنه عليهم.

وفى أسلوبى النداء تقدم أسلوب النداء " يا افتقارى" و " ياضلالى." الواقع جواب الشرط على أداة الشرط، وجملة فعل الشرط، فأصل التركيب هكذا : إذا أفنيت مدخرى فيا افتقارى و إذا غيبت أقمارى فيا ضلالى، فقدَّم النداء على متعلقه، ولعل السر فى هذا التقديم عمد الشاعر إلى سرعة المكاشفةعن بيان ما حلَّ به عند فَقْد هؤلاء ، وذلك لأن تقديم الفعل عمومًا على متعلقه يكون للاهتمام به هذا من جهة(١) ومن جهة أخرى إن غرض الاهتمام هو الأصل فى التقدم كما قال سيبويه ت ١٨٠هـ: " كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم"(٢)

(١) الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة ١٣٨/٢

(٢) الكتاب لسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ،تحقيق عبد السلام هارون ٣٤/١ مكتبة الخانجى القاهرة ١٤٠٨هـ – ١٩٩٨م.

وبنى الشاعر صورته لأهله على الاستعارة فى قوله " أقمارى" وذلك للمبالغة فى وصفهم بالثناء والمدح وعظيم الصفات مالهم عليه من فضل ، ولمَا يقدمونه له من نصائح وتوجيهات .

ومن شواهد جملة النداء التى وردت فى سياق آثار الفقد فى رثاء ابن سناء الملك قوله فى رثاء السيد الشريف أبى القاسم عبد الرحمن الحسينى ت ٥٨٢هـ:(١)

ياحَيْرَةَ الحَقِّ لمَّا غُيِّبَ الهَادِى	وَوَحْشَةَ الدِّين لمَّا أَظْلَمَ النَّادِى
يا آل عبْدِ منافٍ أيُّ داهيةٍ	خَلَابِهَا الحَىُّ بل أوْدَى بهَا الوَادِى
ويافُرَيْش النَّدَى مَنْ جَبَّ غَارِبُكُم	ومَنْ رَمَى نارَ عَدْنانٍ بإِخْمَادِ
وَيَابَنِى مِلَّةِ الإِسْلَام أُمُّكمُ	ثَكْلَى بِأَطْهَرِ مَيْتٍ فَوْقَ أَعْوَادِ
فَيَا شَمَاتَةَ تَعْطِيلٍ وفَلْسَفَةٍ	ويامَسَرَّةَ إِشْرَاكٍ وإِلْحَادِ

أهم ما يلفت الانتباه فى هذه المقطوعة من الأبيات هو ذلك الاستهلال المفعم بالحزن والحسرة ، والذى ينعى فيه الشاعر حيرة الحق ووحشة الدين، فالنداء هنا ليس لمجرد التنبيه أو لفت النظر بل نداء ندبة وتوجع ونادى "بيا" المختصة بالبعيد(٢) إشارة إلى عمق حسرته وبعدها لغياب الهادى، وجاء المنادى مركبًا فى جميع الشواهد "حيرة الحق، و"وحشة الدين" لرغبة الشاعر فى إطالة الكلام ، وتعدد الآثار التى ترتبت على موت مرثيه ، فهو لا يقصد بندائه مجرد التنبيه بل إظهار هذه الصفات ، وتجليتها. وبنى جوابه على " لما" والفعل الماضى ليؤكد هذه الحيرة والوحشة التى أصابت الحق والدين بعد

(١) الديوان ٥٠٤/٢ ــ الشريف الحسينى سبق التعريف به ينظر ص ٣٣ من البحث.

(٢) وللمنادى الناء أو كالناء يا *** وا ، وكذا أيا ثم هيا ـــــ ينظر توضيح المقاصد والمسالك لشرح ألفية ابن مالك للمرادى ١٠٥١/٢ ، دار الفكر العربى ، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

غياب صاحبهما، وتكرار " يا" لتصوير حالة الحزن والبؤس والشقاء التى عجَّ بها صدره نتيجة ما أصاب الحق والدين بسبب غياب مرثيه فنادى آل عبد مناف تحسرًا وحزنًا أيضًا على عظم الداهية التى ألمت بهم ، وتدَّرج فى النداء من الخاص إلى العام ليبرز المكانة العظيمة التى يتمتع بها المرثى فأثره ليس قاصرًا على أهله فقط بل على قريش العامة.

فيخاطب قريشًا ويناديها حسرة وألمًا مستخدمًا "يا" لعمق إحساسه بالألم، وعظم الفادحة ، وبنى جواب ندائه على الاستفهام الذى يحمل معنى الحسرة والتعجب فهو يحاول جاهدًا معرفة أسباب ما حدث، وأخرجه فى صورة الكناية عن فداحة المصاب وعظم المصيبة وذلك في قوله"أى داهية خلا بها الحى"، ويتابع قيوده فيأتى بأسلوب العطف فى قوله " ومن رمى نار عدنان بإخماد" تحسرًا على فقد هذا الرجل العظيم ، وأتى بأسلوب الكناية للدلالة على فداحة الأمر لأن بفقده انعدمت الهداية وانعدم الخير. ويتابع نداءات الحسرة والتوجع على فقد مَنْ هم أصل للدين والحق والهدى ، ويقول " يابنى أمة الإسلام" فجاء المنادى مركبًا للتشريف والتعظيم والعموم . وبالغ فى جعل فقد أحد رجال أهل البيت سبب لحزن أبناء أمة الإسلام جميعًا حيث قال :

يابنى أمة الإسلام أمكم ثكلى" فبنى الجواب على الجملة الاسمية لثبوت هذا الحزن ودوامه ثم قيد ذلك بالجار والمجرور فى قوله "بأطهر ميت" للمبادرة إلى المطلوب من مدحه للمرثى ، وبيان أن سبب ثكلها فقْدها أطهر إنسان فوق الأرض، وجاءت صيغة التفضيل لبيان أنه يَفْضُل الأموات فى الطهر بل هو أطهرهم وهذا للمبالغة فى وصفه بالطهر والهدى مما يستلزم المبالغة فى شدة الحزن عليه.

ثم يُعْلِى صوته بالنداء للحزن والتفجع ؛ ولذلك أتى ب"يا" فى ندائه إياهم ليعبر عن حزنه العميق لفقد مَنْ له دور عظيم فى رفعة الدين ، والدفاع عن الحق، ويخاطب من يحول دون رفعة الإسلام من أهل الشرك والإلحاد لسرورهم برحيل رجل من أهل البيت . فما أعظمها من مصيبة. ومن الملاحظ أن الشاعر فى نداءاته كلها جاء بها معطوفة بحرف العطف لمابينها من المناسبة ، فجميعها أساليب إنشائية تصور الآثار الناجمة عن الفقد، والبحث عن أسبابه ، وكرر "يا" لتصوير ماحلَّ به ، وبالمسلمين بسبب فقد المرثى، كما أن تكرار "يا" فى جميعها يعد تنفيسًا وتصويرًا للحالة النفسية التى يمر بها الشاعر جرَّاء هذا المصاب الجل، كما أن المنادى فى معظمها مركبًا ؛ لتنوع المعانى التى يريد الشاعر إخراجها وكشفها وتجليتها؛ مما يستوجب زيادة الحزن على هذا الفقيد. فقد وظَّف الشاعرترتيب أسلوب النداء توظيفًا دقيقًا يتناسب مع مشاعر الحزن والحسرة التى تملأ نفسه بسبب فقْد رجل عظيم من رجال بيت النبوة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الرابع

بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق التسلى والصبر

تصيب الإنسان فى حياته ابتلاءات كثيرة، يقف عندها عاجزًا، ليس عليه إلا التسليم ؛لأنها من تقدير أرحم الراحمين، يبتلينا ليمتحن مدى صبرنا، وليسمع تضرعنا وابتهالنا، ولنقف ببابه لائذين، فدعاء المكروب أقرب للإجابة، وهذا ما فعله شاعرنا ابن سناء الملك فى رثائه لمَنْ أحبهم من أهله وأصدقائه، ومَنْ لهم فضل عليه، فلجأ إلى ما يُهوِّن مصيبته، وما يسلى به نفسه ، فيصور من فقدهم فى منزلة عالية، ومكانة عظيمة فى جنات وأنهار، ويعدد ما فى هذه الجنات من صور النعيم ؛ ليخفف عن نفسه وطأة الحزن ومعاناة الحرمان، ويكون تسلية له ودافعًا إلى الصبروالرضا.

ومن شواهد التسلى والصبر ما قاله فى رثاء الشريف الحسينى وكان بينهما صداقة(١)

ياسَاكِنًا بَيْنَ جَنَّاتٍ وأَنْهَـــارِ *** ليُهْنكَ العَيْشُ إنِّى مِنْكَ فى النَّارِ
وَطَيَّبًا ظَلَّ مِنْ آبـــــائِهِ أَبَدًا *** مَعَ طَيِّبِينَ وَطُهْرًا عنْدَ أَطْهَارِ
عَرِّفْ أَبَاكَ وَقَدْ أَسْقَاكَ كَوثَرَهُ *** بأَنَّنى فيكَ أُسْقَى دَمْعِيَ الجَارى

يخاطب الشاعر صديقه وينادبه بأنه ساكن الجنات والأنهار، وهذا من باب الدعاء له، والتسلية لنفسه المكلومة على فقده، وناداه ب "يا" إشارة إلى

(١) الديوان ٢/ ٥٠٨ ـــ الشريف الحسينى هوالشريف أبوعلى الحسن بن الشريف أبى تراب حيدرة بن محمد بن القاسم بن الميمون بن حمزة بن الحسين بن محمد بن الحسين بن حمزة الحسينى المعروف بابن سكر، من بيت الجلالة والرواية ولد عام ٥٧٥ ه بمصر وتوفى بها عام ٦٣٩ ه ينظر : تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب و الأسماء والألقاب لابن الصابونى المتوفى ٦٨٠ ه ــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ١ /٧١

بُعْد منزلته فى الجنة، كما أنها للاستغاثة من هول المصاب يقول ابن هشام " أن تكون لمد الصوت بالمنادى المستغاث.(١) فوجد فيها متنفسًا لآلامه وأحزانه، وفى تعبيره باسم الفاعل " ساكنًا" دلالة على دعائه بثبوت إقامته بهذه الجنات، ولمزيد من التكريم الذى يتطلبه الشاعر من ربه عز وجل أن يجعله فى جنات متنوعة لا جنة واحدة ؛ ولذا عبر بصيغة الجمع " جنات"، ولم يقتصر على ذلك، بل قيده بالعطف ليفيد المغايرة فقال "وأنهار" ليكون تابعًا للمعنى المراد وهو رجاؤه من الله عز وجل أن يكون سكناه فى جنات وأنهار، متنقلًا بينهما، وهذا ما أفادته البينونة فى قوله "بين" ليدل على أنه يتضرع إلى الله بالدعاء ليكون مرثيه فى حياة متنقلة بين هذه وتلك، وفى قوله "ياساكنًا " مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون بعد استجابة الله تعالى له ، ثم جاء جواب جملة النداء فى صورة المضارع المقترن بلام الأمر فى قوله " ليهنك العيش"للدلالة على التفخيم والتعظيم ،كما تتضمن الدعاء فهو يدعو لمرثيه بالهناء بما كرمه الله به، وهذا كله تطييب لنفسه، وتسلية لها على فراق صديقه، وامتد جواب النداء ليكشف عن حاله إثر فقد صديقه لبيان المفارقة بين حال مرثيه وحال نفسه. فعبر بالخبر المؤكد بـ " إن" فى قوله "إنى منك فى النار" ليقرر حزنه الشديد، ولايدع مجالًا للشك فى ذلك؛ ولذا جاءت مفصولة عما قبلها لما بينهما من الاختلاف خبرًا وإنشاء فبينها كمال الانقطاع ، وأتى بـ " من" البيانية وأضافها إلى كاف الخطاب ليبين أن فراقه كان السبب الرئيس فيما حدث له، وفى تقديم ذكر حال مرثيه ودعائه له، على حال نفسه ما يدل على المبادرة إلى غرضه من تسلية نفسه وعزائها فيمن فقدتْ ؛

(١) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، ٣٤/٢ دار الطلائع

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فحاله مسبب عن حال مرثيه، ومرتب عليه ،فأبرزت جملة النداء بترتيب بألفاظها ومعانيها مراد الشاعر من تسلية نفسه وصبرها على ما حلَّ بها في هذا المصاب الجلل.

ومما ورد من جملة النداء في سياق التسلي والصبر قوله في رثاء والده (١)

أَيَا دارُ فى جَنَّاتِ عدنٍ لَهُ دارُ *** وياجَارُ إنَّ اللهَ فيهـــــا لَهُ جَارُ
وما دارُهُ قلْبِى ولا جَارُهُ الحَشَا *** لأنَّ الحَشَا والقَلْبَ حَشْواهُمَا النَّارُ
أبِى ياأبِي أنتَ الَّذى جــلَّ قدرُهُ *** وإنْ حُكِّمَتْ فِيه على الرَّغْمِ أقْدَارُ

صدَّر الشاعر بيته بالنداء في قوله " أيا دار في جنات عدن" فيخاطب دار أبيه التي يتوسل إلى الله عز وجل ويرجو أن ينالها، ونادى بـ "أيا" التي لنداء البعيد إشارة إلى بعد منزلته في الجنة ، كما تشير إلى غربة أبيه عنه التي استبدل دارًا في الجنة خير من دار الدنيا، كما استبدل بجيران الدنيا قرب المولى عز وجل ، وهذا من قبيل التضرع والدعاء لله عز وجل أن يجعله في هذه المنزلة الرفيعة، وفيه تصبُّر على المصاب ، وتتطيب للنفس والخاطر ، وفي تصدير قصيدته بنداء الجنات يمثل قيمة معنوية للقصيدة كلها حيث بدأها بما يناسب غرضه وهذا من براعة الاستهلال(٢) ولوحظ أن الشاعر في الشطر الأول من البيت الأول بنى نداءه على المحسن البديعي الإرصاد في أول شطر البيت حيث قال: "أيا دار" وأعاده في فاصلته ، وكرر ذلك في الشطر الثاني فقال في أوله: " أياجار" وأعاده في فاصلته، والإرصاد أصل من " محمود الصنعة" فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض(٣) كما أنه من البراعة التي نبه إليها الإمام العسكري بقوله " أول ما ينبغي أن تعلمه أنك

(١) الديوان ٢/ ٥١١
(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٧٠٨/٤
(٣) المثل السائر لابن الأثير ٢٠٦/٣

إذا قدمت ألفاظًا تقتضى جوابًا فالمرضى أن تأتى بتلك الألفاظ بالجواب، ولا تنتقل عنها إلى غيرها"(١)

وفى تقديم الجار والمجرور فى قوله " فى جنات عدن" بيان للظرفية وتوضيح لمكان سكنى مرثيه فإن غرضه الرئيس هو دعاؤه لوالده أن يدخله الله عز وجل جنات النعيم، والإتيان بالمنادى منكرًا فى "يادار" وياجار" للتعظيم فلا أعظم من الجنة دارًا، جعلنا الله وإياكم من ساكنيها.

وآثر الشاعر أن تكون الجنة دار أبيه، لا قلبه وأحشاؤه ، لأنهما يعانيان من حرقة الفقد ، ويملأهما الحزن العميق على الفقد فصارتا نارًا.

ثم يعود ثانية ويخاطب أباه إلا أنه حذف أداة النداء إشعارًا بقربه من نفسه فهو لا يحتاج إلى رفع صوته بالنداء، كما أن الحذف هنا لضيق الصدر الذى أحس به الشاعر بسبب فقد أبيه، ثم يكرر النداء معبرًا عن حالته النفسية السيئة التى تمتلئ حزناً على رحيل أبيه، ويتبعه بجواب جملة النداء مبنيًا على أسلوب القصر فى قوله " أنت الذى جل قدره" فهو يخصص علو القدر على مرثيه "والده" من باب المبالغة فيكون قصرًا ادعائيًا ، ويحتمل كونه تحقيقيًا فإن والده عظيم الشأن عالى القدر حتى وإن تحكمت فيه الأقدار وأرغمته على الموت. ولوحظ أن جمل النداء التى جاء ابن سناء الملك كانت مرتبة ترتيبًا محكم الدلالةعلى المعنى المراد ، مناسبة لهذا السياق المفعم بالصبر والرضا.

ومما ورد فى رثاء ابن سناء الملك فى سياق التسلى والصبر قوله فى رثاء جده(٢) :

تَرَكْتَنِى لشَقَاءٍ لَسْتُ أَعْرِفُهُ *** وأَنْتَ فى جنَّةِ الفِرْدَوْسِ فى نِعَمِ

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٣٨٥ المكتبة العصرية ،بيروت.

(٢) الديوان ٢/ ٥١٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ياسَاكِنًا بيْنَ جنَّات مُزَخْرَفَةٍ *** بالنُّور إنِّى منْ الأَحْزَانِ فى الظُّلَم

يخاطب الشاعر جده بقوله " ياساكنًا بين جنات مزخرفة" والنداء هنا مراد به الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل بأن ينال هذه المنزلة ، وقد مهَّد للنداء فى السياق القبلى فى قوله " وأنت فى جنة الفردوس فى نعم" وناداه بـ "يا" التى هى لنداء البعيد لتناسب بما فيها من مد الصوت المناسب لحالة الانتقال من الدار الدنيا إلى الدار العليا"(١)

ولإرادة الشاعر دوام إقامة مرثيه فى هذه الجنات عبر باسم الفاعل "ساكنًا"، وبنى نداءه على صورة المجاز المرسل حيث جعل ما لم يحدث كأنه حدث بالفعل إشارة إلى تحقيق حصوله ، لعلاقة باعتبار ما سيكون – بإذن الله تعالى – وجئ بالمنادى نكرة وخصصه بالنعت "بين جنات" لمزيد من التسلى والتخفيف عما يحس به من جوى الفراق، وتقييد النداء بشبه الجملة الظرف "بين جنات مزخرفة" لبيان أن الغرض الأم فى هذا الشاهد دعاءه لجده أن ينال هذه المكانة العالية حيث سَكَنْ الجنات ، وأتى بها جمعًا للتنوع فى الجنات وكثرتها، ولفظ البينونة يؤكد هذا المعنى فلا يعيش فى جنة واحدة بل يتنقل بين جنات متنوعة ، كما زاد فى الترَّقى بالوصف فقيد الزخرفة بكونها "بالنور" لزيادة التعظيم والتشريف لمرثيه، وليزداد قلبه طمأنينة وصبرًا على فقده، لأنه فى منزلة رفيعة أحسن مما كان عليها أثناء حياته – وبعد أن فرغ من ذكر أحوال جاء جواب النداء معبرًا عن حاله بعد فقد جده بأن سيطرت عليه الأحزان حتى صار فى ظلم كثيرة ومتنوعة، وأكد كلامه بـ "إن" ليثبت الخبر ويقرره فى ذهن المخاطب، ولبيان أن حاله عكس حال مرثيه أتى

(١) علل النحو لابن الوراق تحقيق محمود جاسم محمد درويش ص ٣٤٧ مكتبة الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

بالطباق بين"النور – الظلم" ليبين الفارق بين حاله وحال مرثيه مما يدفعه إلى الصبر والرضا، وجاء تعبيره عن حاله بدون عطف على الجملة قبله لكمال الانقطاع بينهما

كما أن فى تقديم حال مرثيه كمال الاهتمام والعناية فالمقصود الأهم من أبياته الدعاء لمرثيه والتسلى والصبر على فراقه ، ويلاحظ دقة الشاعر فى ترتيب جملة النداء فى هذا السياق الملئ بالتسلى والتصبر ؛ لتدل دلالة واضحة على ما كان يرغب فيه الشاعر من تطييب نفسه ، وإرضائها بهذا الحدث الجلل.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة ، والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

بعد هذه الرحلة التى ملأت القلوب أنينًا، وأيضًا موعظة وعبرة ، ونحن نتفقد مواضع جملة النداء فى رثاء ابن سناء الملك فى سياقاتها المختلفة ، يمكن أن نرصد أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة :

١. جاءت جملة النداء عند ابن سناء الملك مرتبة ترتيبًا طبعيًا بذكر بأداة النداء يليها المنادى ثم متعلقات جواب النداء حسب ما يقتضيه السياق .
٢. عدم ورود أسلوب النداء على صيغته المتعارف عليها فى الغالب والأعم وهو كون جملة جواب النداء إما أمر أونهى؛ ولذلك لأن أسلوب النداء فى شعر الرثاء لا يوجد فيه مخاطب يُطلَب منه فعل أوْ كف وإنما جلَّ ندائه يتجه إلى التحسر لفقد المرثى أو تعداد مناقبه أو آثار فقده وطلب الصبر عليه ؛ فبلغ عدد الشواهد الواردة على خلاف الغالب ثمانية وثلاثين شاهدًا ما بين أساليب خبرية و جمل اسمية، وما جاء على الأعم الغالب خمسة شواهد ولكل منها سره البلاغى .
٣. شاع استعمال ابن سناء الملك "يا" من بين أدوات النداء، فورد ذكرها فى حوالى تسع وثلاثين موضعًا وذلك لمناسبتها لحالته المفعمة بالحزن فوجد فيها متنفسًا لخروج آلامه وآهاته مع ما فيها من مد الصوت ، ولم يستعمل سواها إلا قليلًا .

٤. يغلب على النداء عنده ذكر الأداة بل وتكرارها؛ لأنه يريد تصوير حالته النفسية ، وما يعجَّ به صدره من آلام وآهات بسبب الفقد، فلم تحــذف إلا قليلًا، وكان للحذف سره البلاغى أيضًا .

٥. كثر أسلوب التقديم وخاصة تقديم المتعلقات من ظرف وجار ومجرور فى جملة النداء عند الشاعر وذلك للمبادرة إلى غرضه المطلوب، وأحياناً أفاد التقديم التخصيص ، هذا إلى جانب أغراض بلاغية أخرى يقتضــيها السياق

٦. تنوعت جملة جواب النداء ما بين اســمية وفعليــة بنوعيهــا الماضــى والمضارع ، ويكثر اقتران ماضيها ب"قد" و ذلك حسب استدعاء المعنى له من ثبوت الصفات وتقريرها ، أو استحضار الصورة وتجدد حدوثها، فكانت ملائمة للمقام، كما وردت الجمل مثبتــة ومنفيــة ولكــل ســياقه المناسب .

وأخيرًا أرجو من الله عز وجل التوفيق والسداد ، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسنات صاحبه ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس المصادر والمراجع

١. **أبجد العلوم** تأليف أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله الحسينى البخارى القِنَّوجى (ت ١٣٠٧هـ) دار ابن حزم ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٢. أثر السياق فى اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية د إبراهيم صلاح الهدهد الطبعة الأولى ـــ١٤٢٣هـ ـــــ ٢٠٠٢م.
٣. **الأزهر فى ألف عام** تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ـ عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .
٤. **الأعلام** لخير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس، الزركلى الدمشقى (ت١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين ـ الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
٥. **أصول الإنشاء والخطابة** تأليف محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) تحقيق ياسر بن حامد المطيرى ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
٦. **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** للعلامة إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفى (ت ٩٤٣هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه عبد الحميد هنداوى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١ م
٧. **الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى** تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة.
٨. **البرد الموشى فى صناعة الإنشا** لموسى بن الحسن الموصلى أبو محمد تاج الدين (ت ٧٠٠هـ) تحقيق عفاف سيد صبرة ـ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٩. **بغية الإيضاح** لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة تـأليف عبـد المتعـال الصعيدى ــ مكتبة الآداب ١٤٢٠/١٤٢١هـ-١٩٩٩-٢٠٠٠م.
١٠. **البلاغة العربية** تأيف عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميدانى الدمشـقى (ت ١٤٢٥هـ) دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١١. **البلاغة القرآنية** في تفسير الزمخشرى وأ ثرها في الدراسات البلاغية د/ محمد محمد أبو موسى ـ دار الفكر العربى.
١٢. **تاريخ الأدب العربى** تأليف شوقى ضيف ، دار المعارف، مصر الطبعة الأولى ١٩٦٠م.
١٣. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبى (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامى الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
١٤. **تاريخ النقد الأدبى عند العرب** تأليف إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣م.
١٥. **تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبى الإصبع العدوانى، البغدادى ثم المصرى (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق حفنى محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامى- لجنة إحياء التراث الإسلامى.
١٦. **تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب المؤلف ابن الصابونى محمد بن على بن محمود** أبوحامد جمال الدين المحمودى {المتوفى٦٨٠هـ} ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان
١٧. **تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م)** تأليف محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ـــــ دار

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٨. **توضيح المقاصد والمسالك** لشرح ألفية ابن مالك لأبى محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادى ، دار الفكر العربى الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

١٩. **التوقيف على مهمات التعاريف** لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب- القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠. **تهذيب اللغة** لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى أبى منصور (ت ٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢١. **الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور** لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ) تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمى ط ١٣٧٥هـ.

٢٢. **الجنى الدانى فى حروف** المعانى لأبى محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادى المتوفى٧٤٩هـ ـ تحقيق فخر الدين قباوة ـ محمد نديم فاضل ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ـ١٤١٣ه ـ١٩٩٢ م

٢٣. **حاشية الدسوقى على مختصر المعانى** لسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، (ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزوينى)

محمد بن عرفة الدسوقى تحقيق عبد الحميد هنداوى، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٤.**حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك** تأليف أبو العرفان على بن محمد الصبان المتوفى ١٢٠٦ ه ــ تحقيق حسن حمد ، راجعه إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولــى ١٩٩٧م ــ١٤١٧ه

٢٥.**خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر** لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموى الأصل الدمشقى (ت ١١١١هـ) دار صادر، بيروت.

٢٦.**دار الطراز فى عمل الموشحات** لأبى القاسم هبة الله بن جعفر بن ســناء الملك الكاتب (ت ٦٠٨هـ) دار الفكر، الطبعة الأولى ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.

٢٧.**دلائل الإعجاز** للإمام عبد القاهر الجرجانى المتوفى ٤٧١ ـــــ٤٧٤ه، تحقيق محمود محمد شاكر ــ مطبعة المدنى القاهرة

٢٨.**ديوان ابن سناء الملك تحقيق محمد إبراهيم نصر** ـــ حســين محمــد نصار ــدار الكاتب العربى ــ١٣٨٨هـ١٩٦٩م

٢٩.**ديوان أبى تمام الطائى** فسَّر ألفاظه اللغوية ووقف على طبعه محيــى الدين الخياط ، وطبع بمناظرة والتزام محمد جمال مرخصًا من نظــارة المعارف العمومية الجليلة

٣٠.**سير أعلام النبلاء** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبى (ت ٧٤٨هـ) دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣١.**شرح حماسة أبى تمام** للفارسى تحقيق محمد عثمان عبد البارى ، دار الأوزاعى ــ بيروت

٣٢.**شرح ديوان ديوان الحماسة للتبريزى ــ دار القلم ــ بيروت**

٣٣.شرح المفصل للشيخ العالم جامع الفوائد يعيش بن على بن يعيش النحوى – ت٦٤٣ه – مكتبة المتنبى

٣٤.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – تأليف يحيى بن على بن حمزة العلوى – ت ٧٤٥ه – طبعة المقتطف ١٩١٤ م

٣٥.عروس الأفراح لبهاء الدين السبكى ضمن ضروح التلخيص – دار الإرشاد الإسلامى ـــــ بيروت.

٣٦.**قلائد الجمان فى فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ «عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان»** لكمال الدين أبى البركات المبارك بن الشعار الموصلى (ت ٦٥٤هـ) تحقيق كامل سلمان الجبورى، دار الكتب العلمية ـــــ بيروت، لبنان الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م .

٣٧.**الكتاب** تأليف سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـــــ تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة.

٣٨.**كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى** تحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم– المكتبة العصرية ، بيروت.

٣٩.**كتاب العين** لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصرى (ت ١٧٠هـ) تحقيق مهدى المخزومى – إبراهيم السامرائى، دار ومكتبة الهلال.

٤٠.**كناشة النوادر** لعبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨هـ) مكتبة الخانجى ــ الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٤١. **لسان العرب** لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصارى (ت ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ.

٤٢. **المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر** لضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ) تحقيق أحمد الحوفى. بدوى طبانة ـــ دار نهضة مصر ـــ القاهرة

٤٣. **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبى الفتح العباسى** ت٩٦٣ه ـتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ عالم الكتب ـبيروت

٤٤. **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت٦٢٦ه) تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.

٤٥. **معجم المؤلفين** تأليف عمر رضا كحالة ـ مكتبة المثنى – بيروت ، دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٤٦. **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب** تأليف الإمام أبى محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصارى المصرى ـــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار الطلائع للنشر والتوزيع.

٤٧. المفردات فى غريب القرآن تأليف أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى ٥٠٢ ه مكتبة نزار مصطفى الباز ـــ بدون تاريخ .

٤٨. مقاييس اللغة لأبى الحسن أحمد بن فارس – تحقيق عبدالسلام هارون – دار الفكر للطباعة ١٩٧٩

٤٩. **المقتطف من أزاهر الطرف** لأبى الحسن على بن موسى بن سعيد المغربى الأندلسى (ت ٦٨٥هـ) شركة أمل، القاهرة طبعة ١٤٢٥هـ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥٠. **من أسرار العطف فى القرآن الكريم** (الفاء) و (ثم) تأليف : الدكتور محمد الأمين الخضرى ــ مكتبة وهبة – الطبعة الثانية – ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧ م.

٥١. **الوافى بالوفيات** لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى (ت ٧٦٤هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط – تركى مصطفى ـــــ ـدار إحياء التراث العربى ـــــ ـبيروت ـــــ١٤٢٠ ه ـــــ٢٠٠٠ م

٥٢. **الوساطة بين المتنبى وخصومه** لأبى الحسن على بن عبد العزيز القاضى الجرجانى (ت ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم – على محمد البجاوى، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه.

٥٣. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى (ت ٦٨١هـ) تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٣٢٠٩
٢-	Abstract	١٣٢١٠
٣-	المقدمة	١٣٢١١
٤-	التمهيد: تحرير المفاهيم الإجرائية للبحث	١٣٢١٣
٥-	المحور الأول: بلاغة الترتيب وأهميته لدى القدماء والمحدثين.	١٣٢١٤
٦-	المحور الثانى: النداء بين الضابط والتركيب	١٣٢١٩
٧-	المحور الثالث: التعريف بالشاعر والديوان	١٣٢٢١
٨-	المحور الرابع: السياق والدلالة	١٣٢٢٧
٩-	المبحث الأول: بلاغة ترتيب جملة النداء في سياق الحزن والتحسر	١٣٢٢٩
١٠-	المبحث الثانى: بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق تعداد صفات المرثى	١٣٢٤٠
١١-	المبحث الثالث: بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق أثر الفقد	١٣٢٥٢
١٢-	المبحث الرابع: بلاغة ترتيب جملة النداء فى سياق التسلى والصبر	١٣٢٦٢
١٣-	الخاتمة	١٣٢٦٨
١٤-	فهرس المصادر والمراجع	١٣٢٧٠
١٥-	فهرس الموضوعات	١٣٢٧٧

تم بحمد الله